

الإسلام والتحرر من الجوع

للأستاذ

عطية صقر

العدد الحادى والخمسون

دراســات فى الإســلام
يصــدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الإسلام والتحرر من الجوع

للأستاذ
عطية صقر

((٥١))
السنة الخامسة
١٥ من جمادى الآخر ١٣٨٥ هـ
١٠ من أكتــوبر ١٩٦٥ م

يشرف على إصدارها :
محمــد توفيــق عويضــة



بسم الله الرحمن الرحيم

[وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ]

قرآن كريم

اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ فإِنَّهُ بِئْس الضَّجِيع

حديث شريف

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فان منظمة الأغذية والزراعة التابعة لهيئة الأمم المتحدة تقوم بحملة للتحرر من الجوع كأثر من آثار الثورة الديموجرافية « علم الاحصاء الاجتماعى للسكان » ، وذلك بعد أن رأت أن شبح الجوع يهدد الملايين من سكان العالم ، نظرا لتزايد عددهم ، وعدم اطراد نسبة الزيادة فى الانتاج الغذائى مع نسبة الزيادة فى السكان .

وهى تستهدف بهذه الحملة خلق وعى عالمى بمشكلات الجوع وسوء التغذية ، وايجاد جو من الرأى يمكن أن تنظم فيه حلول لهذه المشكلات على أساس قومى ودولى .

وقد بينت الاحصاءات أن أكثر الشعوب التى تعانى من الجوع تعيش فى قارتى آسيا وافريقيا . ورأيت أن الباحثين فى هذه المشكلة أو أكثرهم ـ وهم غربيون ـ نسوا أو تناسوا نكبة هذه البلاد بالاستعمار الذى كان جل همه استنزاف ثروتها لصالح الدول المستعمرة ، وحرمان هذه الشعوب من خيراتها التى تعج بها مواردها المختلفة ، والعمل جهد المستطاع على وضع العراقيل فى

طريقها لكيلا ترى النور الذى يرى فيه المستعمر أكبر خطر عليه ، وتعمد افقارها ماديا وأدبيا ليضمن سلامة ارتباطها بعجلته والدوران فى فلكه .

وهاتان القارتان هما مهد النبوات ومهبط الوحى ، والاسلام يسيطر على كثير من شعوبهما ، وأصحاب المدرسة الماركسية وأشياعهم ممن يفسرون التاريخ على ضوء الحقائق المادية ، كثيرا ما رموا الأديان بعامة ، والاسلام بنوع خاص ، بأنها من الأسباب الأولى للتخلف الاقتصادى والتفكك الاجتماعى ، لأنها ـ فى زعمهم ـ تحبب فى الزهد وتدعو الى الجوع ، وتؤثر الرقة والقناعة بالدون ، وما الى ذلك من الأمور التى جهلت مفاهيمها الحقيقية وأغراضها التربوية والاجتماعية ، ولم يعرف على وجه صحيح مدى نظرة الأديان اليها وتفسيرها .

لهذا أحببت أن أبين فى هذا البحث موقف الاسلام من مشكلة الجوع ، التى تتكاتف الدول والهيئات الآن لايجاد حل لها .

والدين الاسلامى لم يدع مشكلة من المشاكل التى تهم الجماعة الانسانية الا وضع حلا لها ، مصداقا لقوله تعالى : « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء** » . ولم يوجد نظام اجتماعى تمخضت عنه عقول الباحثين الا كان النظام الذى قرره الاسلام أدق وأمتن ، وأقوى وأصدق ، وصدق الله العظيم « **ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** » . ولهذا كانت الحملات ضده أقوى وأشد ، وذلك لزلزلة عقيدة الناس وصرفهم عن نظامه المتين .

ومن الخصائص المميزة للدين الاسلامى مرونته الكبيرة وقابليته للتطبيق فى كل البيئات وفى جميع عصور التاريخ ، ومناسبته للسنن الكونية فى التطور العام، مع الحفاظ على الأصول

الأولى التى تحدد ملامح شخصيته ، ويمكن الرجوع اليها عنـــد تزاحم الصور ، والاهتداء بها عند تشعب المسالك ، وذلك راجع الى القواعد الكلية التى هى كالاطار العام ، يمكن أن تجرى فى محيطه كل الفروع والجزئيات التى تتطلبهـــا حالة البشرية فى تطورها المستمر وتنوعها الدائم ، وهذه هى احدى ميزات الدين العـــالمى الذى جاء لهداية الناس جميعا ، قال تعالى : « **قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** » . وكان له الفضـــل الأكبر فى تخليص العالم من ويلاته ، وانتشاله من هوة الجهل الذى ضلت به العقيدة والتوى معه الفكر وتحكم الهوى « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** ».

وقد حاولت فى هذا البحث أن أعتمد على النصـــوص الدينية القوية ، من القرآن الكريم والسنة النبوية ، مستعينا بمعـــارف المختصين فى توضيح جوانب الموضوع ، راجيا أن يكون فى هـــذا البيان تبديد للغشاوة التى أعمت عيون المتعصبين ، فلم ينصـــفوا الاسلام فى تنظيمه الاجتماعى المتين ، وأن يكون فيه تحرير لبعض المعانى التى اتهم بها الاسلام زورا وبهتانا ، وزيادة ايمان بصلاحيته للبقاء فى كل عصر وحين .

والله هو المسئول أن يجعله عملا خالصا لوجهـــه الكريم .. انه سميع مجيب .



يطلق لفظ الجوع ويراد به أحيانا عدم حصول الجسم على كفايته من الطعام ، وذلك لعدم وجود الغذاء أصلا ، أو وجوده بقدر لا يفى بالحاجة ، كما يراد به أحيانا أخرى عدم احتواء الطعام الذى يتناوله الانسان على العناصر الأساسية اللازمة لبناء الجسم بناء سليما ، وذلك لفقر الطعام من هذه العناصر وان كان الطعام نفسه متوفرا بكميات كبيرة ، وهذا هو ما يسمى بالجوع الغذائى ٠

والجوع بالمعنى الأول يهتم بحل مشكلته رجال الاقتصاد وخبراء الزراعة وتربية الحيوان وأرباب الصناعة والتجارة الذين يظهر نشاطهم بشكل واضح فى توفير كميات كبيرة من الطعام ، فى حين أن الجوع بمعناه الثانى يهتم به الأطباء وخبراء التغذية الذين يعنون بالكيف أكثر من عنايتهم بالكم ، ويحاولون أن يفيدوا من الكميات التى يوفرها الباحثون فى المجال الاقتصادى ٠

ومن البدهى أن كل كائن حى لا بد له من الحصول على كفايته من الطعام بعناصره الغذائية الأساسية ، والانسان أشد هذه الكائنات حاجة اليه ، لبناء جسمه ، وتعويض ما يفقده نتيجة لنشاطه الدائب ، ولوقايته من غزو الأمراض التى يمهد لها الجوع فتغير على جسمه ٠

والبنية السليمة لا بد منهـــا للتمكن من القيام بالواجبـــات والمسئوليات الملقاة على عاتق الانسان ، ليخدم نفسه ومجتمعـــه ووطنه وبنى جنسه عامة • ولهذا كان الجوع أخطر عدو للانسان يهدده فى صحته وفى تفكيره وفى أخلاقه وسلوكه •

وهذا العدو ما زال يهدد البشر منمبدأ وجود الحياة الانسانية على الأرض فى صورتها الأولية، الى هذا الوقت الذى بلغ فيه النضج الفكرى والاقتصادى والاجتماعى درجة عالية :

وقد يهون أمر الجوع اذا عض بنابه فردا أو أفرادا محصورين، ولكنه قد يستفحل خطره فيهدد مجتمعات كبيرة ويشمل مناطـق واسعة ، وقد تقصر فترته وقد تطول ، وهو فى هذه الصورة يطنق عليه أحيانا اسم المجاعة أو القحط ، وقد أطلق عليها الشـــاعر الاغريقى « هزيود » لقب « بنت الظلام » •

ومن أقدم المجاعات فى تاريخ البشرية تلك التى حكاها القرآن الكريم فى سورة « يوسف » حيث رأى ملك مصر فى المنـــام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ـ هزيلات ـ وسبع ســـنبلات خضر وأخضر يابســات ، فأولها يوسف بقحط يدهم البلاد سبع سنوات يأتى بعـــدها الغيث والخير ، ووضع تخطيطا زراعيـــا واقتصاديا يتلافى به بغتة القحط ، فأشار بزراعة الأرض ســـبع سنوات متتالية ، يخزن محصولها ولا يؤكل منه الا بقدر الضرورة، حتى تواجه بالمدخر منه السنوات العجاف •

وقد عم هذا القحط منطقة كبيرة فى الشرق ، جعـل سكانها يقصدون مصر ليمتاروا منها ، وكان من نتيجة ذلك لقاء يوسف مع اخوته ، ودخول أسرته الى مصر آمنين ، حتى خرجوا منهـا على يد موسى وهارون •

ولعل هذه المجاعة أو مايشبهها هى التى كشفت عنها الآثار المصرية القديمة ، اذ وجد حجر من الجرانيت فى مقبرة الشلال الاول نقش عليه أحد الفراعنة القدماء صرخة يأس بسبب السنين العجاف جاء فيها : من عرشى يفيض قلبى حزنا على هذه الكارثة ، ففى خلال حكمى لم يفض النيل سبع سنوات ، وشحت الغلال وعزت الأقوات ، وأصبح الناس لصوصا يسلبون جيرانهم ، ان الذين يشتهون أن يجزوا أصبحوا عاجزين حتى عن المشى ، والاطفال يصرخون والفتيان يضطربون ويترنحون فى مشيتهم كأنهم شيوخ، وسيقانهم تتعثر أو تهوى من تحتهم ، ونفوسهم محطمة .

وفى العصور الوسطى حدثت عدة مجاعات فى أوربا اضطر الناس فيها الى أكل الطين مخبوزا بقليل من الدقيق ، وكانت الحيوانات تفصد ويمص الناس منها الدماء . وفى سنة ١١٩٠ م كان الفول يباع بالحبة أثناء الحروب الصليبية ، ويروى عن بعض المحاربين فى حصار عكا أنهم دفعوا عملة فرنسية من الفضة اسمها « دنييه » ثمنا لثلاث عشرة حبة من الفول ، ولما عادوا لمعسكرهم اكتشفوا أن حبة بها سوس ، فرجعوا الى البائع سريعا واستبدلوا بها حبة أخرى سليمة .

وفى العصور الحديثة تسلطت المجاعات على فرنسا ثلاث عشرة مرة فى القرن السادس عشر ، واحدى عشرة مرة فى القرن السابع عشر ، وكان الجوع من بواعث الثورة الفرنسية، وقد اضطر الناس فى هذه المجاعات لأكل الحشائش وجذور النباتات ولحاء الأشجار ، بل أكل أهل السويد خلال مجاعتهم سنة ١٨١٣ م القش الذى حشيت به الوسائد ، وأكل آخرون روث البقر .

وفى القرن التاسع عشر مات من الصينيين ١٠٠ مليون جوعا وكان الواحد منهم يلقى صديقه فى الصباح فتكون تحيته له : هل

أكلت ؟ بدل أن يقول له : صباح الخير ، كالمعتـــاد ٠٠ ومات من الهنود خمسة ملايين جوعا فى سنة ١٨٧٦ م ، وفى الســـنوات الأخيرة من القرن مات منهم عشرون مليونا ٠ وما زالت أنبـــاء المجاعة فى بعض الولايات ترد الى الآن ٠

وفى سنة ١٨٤٦ م قتل الجوع فى ايرلندة مليونا وأرغم مثلهم على الهجرة ، وقد عانت روسيا أربعين عاما من الجوع ، حتى كتبت احدى الصحف سنة ١٨٩١ م تقول : من الصباح الى المساء يتجول الجائعون من بيت الى بيت يستجدون ما يتبلغون به فلا يجدون ، لأن أحدا لا يعطى شيئا على الاطلاق ، وانتهز التجار فرصة المجاعة فكانوا يطوفون بالقرى يشترون كل ما تصل اليه أيديهم بأبخس الأثمان ، حتى باع النساء شعورهن ٠ وقد استعمان « الموجيك » فى النجاة من الهلاك بضرب من النوم الشتوى يسمونه « ليوشكا » وهو شبيه بالوســـائل التى تتبعها الحيوانات التى تنـــام زمن الشـــتاء ٠

وفى القرن العشرين كثر الموت جوعا فى هولندة فى شـــتاء ١٩٤٤ ــ ١٩٤٥ م ، واجتاحت المجاعة كلكتا بالهند سنة ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ م ، كان الناس يموتون فيها بالآلاف ، حتى كان التخلص من جثثهم الملقاة فى الشوارع مشكلة عويصة ٠

وفى البرازيل أصيب الاقليم الشمالى الشرقى بقحط بين عامى ١٩٥١ ، ١٩٥٣ ٠٠ وما زال يقضى على ضحايا كثيرين ٠ ونشر فى أخبار سنة ١٩٦٣ أن الترنسفال بجنوبى أفريقيا تعـــانى مجاعة شديدة ، حتى ان عددا كبيرا من الناس لا يأكلون ســـوى ثلاث مرات فى الأسبوع لقلة الغذاء ، كما يعانى الكثيرون منهم ســـوء التغـــذية ٠

فكرة الإسلام عن المجموع

لما كان الاسلام حريصا على أن تكون الأجسام صحيحة ـ كما يتبين فيما بعد ـ لامكان مزاولة النشاط البشرى ، وكان الجوع يؤثر عليها ويعوقها عن أداء واجبها ، ذمه الاسلام ونفر منه ، وندب الى تناول ما يحفظ على الانسان حياته ويوفر للجسد نشاطه .

ونظرة الاسلام الى الجوع تتمثل فيما يأتى :

١ ـ جعله الله من الامور التى تمقتها الطبيعة البشرية، وتحاول أن تبعد شبحه عنها . قال تعالى مبينا نعمته على آدم فى الجنة : **« ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ».**

٢ ـ جعله نوعا من أنواع العقاب على الخطايا ، كما قال سبحانه: **« ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون »** . وقال ، **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »** .

كما جعله عذابا لأهل النار لا يجدون فيها ما يرده أو يخفف حدته ، قال تعالى :

« ليس لهم طعام الا من ضريع . لا يسمن ولا يغنى من جوع».

وهو أيضا أحد الوسائل التى يبتلى بها المؤمنون ، قال تعالى .

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجـــوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » ٠

من هنا كان رد الجوع والوقاية منه نعمة من نعم الله الكبرى يقول سبحانه ممتنا على قريش :

« فليعبدوا رب هذا البيت ٠ الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خـــوف » ٠

٣ ـ تعوذ منه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان يقول فى دعائه « اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ٠ وأعوذ بك من الخيانة فأنها بئست البطانة » ٠ رواه أبو داود بسند صحيح عن أبى هريرة ٠

وأنكر على الباهلى ما صنعه بنفسه من الجـــوع ، فعن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته ، فقال يا رسول الله : أما تعرفنى ٠٠ قال : ومن أنت ٠٠ قال أنا الباهلى الذى جئتك عام الأول ، قال : فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟ قال : ما أكلت طعاما منذ فارقتك الا بليل ـ يعنى أنه صائم ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « عذبت نفسك » وعلمـــه الصيام الصحيح الذى لا يؤثر على الصحة ٠ رواه أبو داود ٠

كما أنكر النبى ما عزم علية الذين سألوا عن عبـــادته فتقالوها ، وحلف بعضهم أن يصوم ولا يفطر أبدا ، وبعضهم قرر أن يقوم الليل ولا ينام أبدا ، وقرر الثالث أن يمتنع عن النســـــاء ولا يتزوج أبدا ٠ ذلك لأنها مسالك تضر بالصحة وتقعد الانسان عن أداء واجبه ٠ وبين لهم أنه يصـــــوم ويفطر ، ويقوم ويرقد ، ويتزوج النساء ، وقال « فمن رغب عن ســـنتى فليس منى » ٠٠ رواه مسلم عن أنس ٠

٤ ـ ورخص الاسلام لغير القادر على الصيام أن يفطر محافظة على صحته ووقاية له من فتنة الجوع ، كما نهى الصائمين أن يصلوا ليلهم بنهارهم دون تناول مفطر ، ولما سألوه : لماذا هو يواصل .. رد عليهم بما يفيد أن له غذاء روحيا يقوى به على هذا الوصـال ، وليس كل واحد عنده هذا الاستعداد الذى يجعل روحه تسـيطر على بدنه وتحد من مطالبه الشهوية فقال « انى لست كهيئتكم ، انما أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » . وهذا كناية عن صـلته بالله بالطاعة وشبعه بهذا الغذاء الروحى . رواه البخارى ومسلم عن أنس .

٥ ـ نهى عن تحـريم ما أحل من الطيبات .. فقـال : « **يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين** » وأنكر على من يفعل ذلك بأسلوب آخر فقال: « **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** » ، وتحريم الطيبات ضرب من التنطع اذا قصد به التقرب الى الله .. والنبى ـ صلى الله عليه وسـلم ـ يذم هؤلاء فيقـول : « هلك المتنطعون » رواه مسلم عن ابن مسعود .

٦ ـ أحل الله للانسان أن يتناول من الطيبات ما يدفع به شر الجوع ويوفر للجسم كفايته ، على ألا يصل به الى حد التخمة أو الشبع المفرط ، فيكون كما قال الحديث الشريف « ثلث لطعـامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » رواه احمد والترمذى وقال حـديث حسن ، ورواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن المقـدام بن معديكرب .

ذلك أن الأكل فى اعتدال ـ كما يقول ابن الجوزى فى التبصرة ـ يصح البدن ويبعد المرض ، ويقلل النـوم ويخفف المؤنة ، ويرقق

القلب ويصفيه ، فتحسن فكرته وتسهل الحـركات والتعبيرات ، ويحصل الايثار » وسيأتى بعد ذلك ذم الشبع المفرط ، والذى يتخذ ديدنا فى أكثر الأحوال ٠

وأخذ الكفايه من الطعام فى اعتدال يدل عليه قوله سبحانه : « **وكلوا واشربـــوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفيــــن** » ٠٠ وقول النبى ـ صلى لله عليه وسلم ـ « كلوا واشربوا وتصدقوا ، ما لم يخالطه اسراف ولا مخيلة » رواه النسائى وابن ماجه عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده ٠ وهو مظهر من مظاهر التحدث بنعمة الله الذى يقول فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » رواه الترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وقال حديث حسن ٠

والجوع الذى يذمه الشرع وينفر منه يقول عنه العلمـــاء : ان وصل بالانسان الى حد الضرر ببدنه وكان سببا فى تقصيره فى أداء الواجب عليه لله ولنفسه ولأسرته ووطنه وكل من عليه التزامات نحوهم كان حراما ٠ أما اذا لم يصل الى هذا الحد فهو مكروه ٠ وهو على كلا الحالين لا يحمده الشرع ٠

وعلى المسلم الذى ندبه الله لأداء رسالة الخير ألا يورط نفسه فيه ، وأن يجتهد فى دفعه عنه بما يمكنه من الوسائل ٠ يقول ابن الجوزى : وقد تقلل جماعة من المتزهدين فضعفوا عن أداء الفرائض ، وذلك من أوامر الشيطان ، وانما قد لا يجد الانسان من الحلال فى وقت فيصبر ، وقد يؤثر ٠ فأما الـــدوام على ما يضعف البـدن ويوجب تنشف الرطوبات ويبس الدماغ فيخرج الى الخيـــالات الفاسدة فذاك لا يفعله الا الجهال ٠

والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأكل الطيبات ويأخذ حظه منها · ان وجدها · فكان يأكل اللحم والسمن والفاكهة ، وكان يحب العسل والحلواء ، كما رواه البخارى ومسلم عن عائشة · وروى مسلم أنه كان يستعذب الماء وينبذ له فيه التمر والزبيب ليحلو ويلذ طعمه · وما جاء من مذمه للمترفين سيأتى الحديث عنه بما يحقق المراد منه ·

شبهات مردودة

اذا كان الاسلام ينظر الى الجوع هذه النظرة فبماذا نعلــــل ما يأتى :

١ ــ تشريع الصيام وجعله أحد اركان الاسلام ، وقوامه الجوع والعطش .

٢ ــ وورد آثار تحث على الجوع وتندب اليه ، وتعيب الشبع وتنفر منه ، واتخاذ الصوفية منه شعارا لسلوكهم .

٣ ــ ورود آثار تدل على أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان هو وأهله يعانون أحيانا كثيرة من الجوع .

وللاجابة على ذلك نقول :

١ ــ ليس الصيام تجويعا بالمعنى الذى يذمه الشرع حين يضر بالبــــدن ولا يمكن من أداء الواجب ، بل هو نوع من التمرين على التحمل وضبط النفس والتحكم فى الشهوات ، استعدادا للطوارىء التى يصادفها الانسان فى حياته ، فالحياة ليست دائما مترفة ناعمة ولا سهلة هينة . وهذا أسلوب فى التربية لا بد من مراعاته لاخراج

رجال يواجهون الحياة بما فيها من حلو ومر ويسر وعسر . وهو الى جانب ذلك له فوائده الصحية التى تحـدث عنها الأطبـاء والمختصون .

على أن هذا التمرين ليس دائما طول العام بل هو جزء من اثنى عشر جزءا منه . وفى غيره يجوز للانسان أن ينعـم بكامل حريته بالطيبات فى الحد المعقول، وهذا التجويع ماهو الا ساعات محدودة من اليوم لا يلحق البدن فيها ضرر كبير . وحتى لا يكون الامساك عن الطعام والشراب فى النهار مرهقا ندب الشرع للتقـوى عليـه بالسحور وقال عنه النبى ــ صلى الله عليه وسلم « انه بركة » كما رواه البخارى ومسلم عن أنس . وندب الى تاخيره ليكون قرب الفجر ، كما رواه أحمد عن أبى ذر .

ولكى تعلم أن هذا الصيام لا يقصد منه الحرج رخص الشرع لمن يضره أن يفطر فقال سبحانه « **ومن كان مريضا أو على سـفر فعدة من أيام أخر** » .

والصيام بهذه الكيفية وتلك التحفظات لم يكن عائقا للانسان أبدا عن القيام بالواجبات ولا سببا فى تعطيل المشروعات ، فقد قام النبى وأصحابه فى رمضان بأعمال مجيدة لا تتم الا بالقوة البدنية والنفسية . وما قعدوا أبدا عن طلب الرزق والضرب فى الأرض والجهاد فى سبيل الله . ففى رمضان من السنة السـادسة كانت سرية زيد بن حارثة الى وادى القـرى ، وسرية عبد الله بن عتيك لقتل عدو الله سلام بن أبى الحقيق اليهودى . وفى السنة السابعة كانت سرية غالب بن عبد الله الليثى الى الميفعة بنجد ، وفى السنة الثامنة كان فتح مكة ، وسرية أبى قتادة الى بطن أضم ، وخالد بن الوليد لهدم العزى ، وعمرو بن العاص لهدم سواع . وسعد بن زيد الأشهلى لهدم مناة .

وقد رأيت ان الجوع الذى لا مبرر له هو المذموم ، أما الجوع فى صورته البسيطة بالصيام فهو لحكم جليلة وليس فيـــه ضرر للجسم ، بل على العكس هو من العوامل التى توفر له الصـــــحة وتساعده على أداء واجبه •

٢ ـ أما الآثار التى تحبب فى الجوع وتنفر من الشبع ، فقد تتبعت أكثرها فوجدت كثيرا منها لا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم • وقد ذكر الغزالى فى الأحياء فى بيان فضيلة الجوع وذم الشبع نحوا من خمسة وأربعين حديثـا منها ثلاثة وثلاثون ما بين ضعيف وموضوع لا يوجد له أصل •

والمقبول من هذه الأحاديث محمول على الندب الى التوسط فى الأكل ، والاعتدال فيه ، والنهى عن الشبع المفرط الذى يضر بالبدن ويؤدى الى التقصير فى الواجب ، أو يتخذ ذلك ديدنا يقسو معه القلب وتظلم النفس وتنسى الأخلاق التى لا بد منها فى ميادين القوة والعمل والجهاد •

ولا شك أن الاعتدال فى الأكل له فوائده الصحية والنفسية والخلقية كما سبق ذكره فى كلام ابن الجوزى ، وكما ذكر الغزالى : أنه يصفى القلب ويوقد القريحة وينفذ البصيرة ، بخلاف الشبع الذى يورث البلادة ويعمى القلب ، كما أن الاعتدال سبيل التواضع ولين الجانب وسماحة النفس ورقة القلب ، وهو ما يفيده قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما عرضت عليه الدنيا « لا ، بل أجوع يوما وأشـــبع يوما ، فاذا جعت صـــبرت وتضرعت ، واذا شبعت شكرت » رواه الترمذى ، كما أن الاعتدال يذكر الانسان بالفقراء فيعطف عليهم لأنه يحس بما يحسون ، وهو أيضا يكسر شهوة المعاصى ويستولى على النفس الأمارة بالسوء ، وفيه معونة على السهر وتيسير للمواظبة على العبادة وأداء الواجب ، كما أن ذلك

يدفع أمراضا سببها كثرة الأكل ، والمرض مفتاح اضرار كثيرة ٠ والاعتدال فى الأكل لا يسيىء الى الحالة الاقتصادية ولا يوقع فى الأزمات المالية التى يجر اليها الشبع والانهماك فى الملذات ٠ وفيه فرصة للتصدق بما فضل عن الحاجة واعطائه لمن لا يجدون ٠ وهذه الفوائد لا تكون أبدا فى الجوع المفرط الذى يضر بالبدن ، ولا فى الشبع المفرط أيضا ٠

ومما ورد فى النهى عن الشبع المفرط ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « المسلم يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » وفى رواية لمسلم قال : أضاف رسول الله ضيفا كافرا فأمر له النبى بشاة فحلبت فشرب حلابها ، ثم أخرى فشرب حلابها ، ثم أخرى فشرب حلابها ، حتى شرب حلاب سبع شياه ، ثم انه أصبح فأسلم ، فأمر له رسول الله بشاة فشرب حلابها ، ثم أخرى فلم يستتمه ٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المؤمن يشرب فى معى واحد ، وأن الكافر يشرب فى سبعة أمعاء » ٠

ويفيد هذا الحديث أن الحالة النفسية لها دخـــل كبير فى التأثير على رغائب الجسد ٠ فاذا وجد الايمان والقناعة واطمئنان النفس كفى القليل من الطعام لسد الحاجة ، وافادة الجسم منه ، وبالعكس يؤثر الحرص والشره والقلق على الأجهزة المختلفة للجسم فيكون لها وضع آخر عند تناول الطعام وتقبله والافادة منه ٠

ومن الأحاديث فى ذم الشبع ما رواه احمد والترمذى وحسنه ، وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن المقدام بن معديكرب عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » ٠ وأخرج الترمذى وحسنه وابن ماجه

والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : تجشأ رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كف عنا جشاءك ، فان أكثرهم شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيـــامة » . وجاء فى بعض الروايات أن هذا الرجل يسمى « أبا جحيفة » . وروى البغوى فى معجمه أن المسلمين لما فتحوا خيبر أقبلوا على ما فيها من فواكه ، فأصابتهم الحمى لفرط أكلهم ، وفى ذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم « لم يخلق الله وعاء اذا ملىء شرا من بطن ، فان كان لا بد فاجعلوا ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للريح » .

وهذه الأحاديث هى فى الشبع المفرط الذى يضر بالبدن ويقعده عن أداء الواجب أو يتخذ ديدنا كما سبق ذكره . أما اذا كان الشبع أحيانا وبدون افراط فلا بأس به ، فقد كان الصـــحابه يشبعون مرارا بحضرة النبى وما ينهـــاهم عن ذلـــك . وقد أمر أبا هريرة أن يأخذ كفايته من الطعام عنـــدما جاءه قدح من لبن ، فأمر أن يدعو له أهل الصفة فسقاهم ثم قال لابى هريرة : اشرب فشرب ، ثم أمره ثانيا وثالثا حتى قال : والذى بعثك بالحق ما أجد له مساغا . رواه البخارى عن أبى هريرة .

والمتصوفون عندما يحببون المريد فى الجـــوع لهم فى ذلك مسلك عجيب لم يكونوا فى نظرتهم اليه على حال واحدة ، ولنستمع هنا الى قول الامام الغزالى الذى يعبر بصدق عن المتصوفين الفاهمين لروح الشريعة والسائرين على منهجها القويم . ففى الأحياء يقول : اعلم أن المطلوب الأقصى فى جميع الأمور والأخلاق الوسط ، اذ خير الأمور أوسطها ، وكلا طرفى قصد الأمور ذميم ، وما أوردناه فى فضائل الجـوع بما يومىء الى أن الافراط فيه مطلـــوب ، وهيهات ! ولكن من أسرار حكمة الشرع أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة فى المنع منه ، على وجه يومىء عند الجاهل الى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه

الطبع بغاية الامكان ، والعالم يدرك أن المقصود الوسط ، لأن الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى أن يمدح غاية الجوع ، حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا ،فيتقاومان ويحصل الاعتدال . فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد ، فيعلم أنه لا ينتهى الى الغاية ، فانه ان أسرف مسرف فى مضادة الطبع كان فى الشرع ايضا ما يدل على اساءته .. الى أن قال :

فاعلم أن الأفضل بالاضافة الى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع . قال بعد ذلك : ولكن هذا بعد أعتدال الطبع ، أما فى بداية الأمر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها، بل لا بد من المبالغة فى ايلامها بالجوع الى أن تعتدل ، فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها . ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو بنفسه ؛ فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ، ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمنع هو منها ، لأنه فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب .. الى أن قال :

والذى يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير فى وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصورا فى نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق ، غير بالغة رتبة الكمال ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه . قالت عائشة ــ رضى الله عنها ــ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم » رواه البخارى ومسلم اهـ .

وعلى ضوء هذا يمكن أن نفسر تصرفات بعض الصوفية فى هذا الشأن ، فهم يأمرون بالجوع كأسلوب من التهذيب لمن لا يفيده الا ذلك ، حتى اذا استوى الطبع كان الاعتدال فى الطعام هو السبيل الأقوم .

والجوع بهذه الصورة أشبه بالدواء الذى يعطى للمريض ، فهو موقوت بوجد المرض ، فاذا انتهى المرض انتهى العلاج بهذا الدواء ، وقد حكى أن ابراهيم بن أدهم — من أعلام الزهاد — دفع الى بعض اخوانه دراهم يشترى بها زبدا وعسلا وخبزا ، فقيل له يا أبا اسحق ، بهذا كله ؟ قال ويحك ، اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال ، واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال .

٣ — أما مسلك النبى فى بيته وتحمله للجوع أحيانا فيمكن بما تقدم معرفة بعض المراد منه ، كما أن المربى أو القائد أو الحاكم قد يكون على حال من اعتدال النفس ولكنه يؤثر الجوع ليقتدى به من هم فى المرحلة الأولى من الترويض النفسى ، أو لانصرافه الى ما هو أهم من الاقبال على الطعام ، أو لاستكمال غذائه بالغذاء الروحى الذى يحد من مطالب الجسد . أو قد يكون ذلك علاجا لحالة وقتية يأخذ نفسه فيها بالتقشف للخروج من ضائقة أو أزمة ، أو لعدم وجود ما يشبع به نفسه من الطيبات ، فهو يجوع اضطرارا حتى يهيىء الله له ما لا يجد مانعا من التزود منه بما يكفيه .

وقد كان النبى — صلى الله عليه وسلم — يجوع فى بعض الأحيان اختيارا ، ولو شاء لشبع ، وذلك لحكمة بينها حديث عرض الدنيا عليه وقد سبق ذكره ، وكان يضطر للصيام اذا لم يجد ما يأكله ، ومنه حديث : كان يدخل على أهله فيقول : هل عندكم شيء ؟ فان قالوا نعم أكل ، وان قالوا لا قال انى صائم ، رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، والنسائى من حديث عائشة . واذا وجد أكل بعد أن يعزم على الصوم ، فقد روى البيهقى بأسناد صحيح عن عائشة أن النبى خرج يوما وقال انى صائم ، فقالت له عائشة — رضى الله عنها — قد أهدى الينا حيس ، فقال « كنت أردت الصوم ولكن قربيه » .

كما أن النبى كان يقتصر فى أكله على الموجود الميسر أيا كان نوعه وقدره ، روى البخارى ومسلم عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها كانت تقول : والله يابن أختى ان كنا لننظر الى الهـــلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله فى شهرين وما أوقد فى بيت رسول الله نار • قلت : ياخالة فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء • الا أنه كان لرسول الله جيران من الأنصار وكانت لهم منايح ، وكانوا يرسلون الى رسول الله من البانها فيسقينا • ومنه حديث : ما شبع آل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض • رواه البخارى ومسلم عن عائشة •

وقد كان عمر ـ رضى الله عنه ـ يؤثر البســـاطة فى عيشه خصوصا عندما رأى الدنيا تقبل بالفتوح على المسلمين ، وذلك ليكون قدوة لهم فى عدم الافتتان بها ، وفى عام المجاعة أخذ نفسه بالتقشف الشديد مقتصرا على الزيت حتى تألمت بطنه ، ولو شاء لأكل ما لذ وطاب ، ولكنه يريد أن يشارك الشعب أزمته ليحس باحساسهم وليضرب المثل للمترفين حتى لا ينسوا فى غمرة شبعهم البائسين المعدمين • وقد ضرب جابر بن عبد الله عندما اشترى أو اراد أن يشترى لحما بدرهم وقال له : أما يريد أحدكم أن يطوى بطنه لجاره وابن عمـه ؟ فأين تذهب عنـــكم هذه الآية « **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغيـــر الحق وبما كنتم تفسقون** » • رواه مالك عن يحى بن سعيد •

وقد أثر عن الحسن أنه قال : والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكلـــه . فيقول : والله لا أجعل هذا كله لبطنى حتى اجعل بعضه لله •

موقف الإسلام من مشكلة الجوع

مشكلة الجوع ذات صلة وثيقة بالحالة العامة للفرد والمجتمع من النواحى الاقتصادية والثقافية والعمرانية وغيرها ، وللاسلام جولاته الواسعة فى شتى الميادين الاصلاحية ، وهو حين يعالج مشكلة من المشاكل لا يعالجها بطريق جزئى ، ولكنه يضع حلولا متكاملة لعدة أسباب وجوانب تتعاون كلها فى حل المشكلة. وعلاجه لا يكون سطحيا بل قائما على أصول ومبادىء هى بمثابة الفلسفة التى يسير المصلح على ضوئها فى وضع التخطيط لحل المشاكل. ولهذا كان لا بد من ذكر مقدمات ومبادىء تساعد على تكوين فكرة واضحة عن المشكلة ثم نتبعها بالأسباب المؤدية اليها والعلاج الذى يناسبها .

أولا ــ الصحة :

صحة الأجسام هى التى تمكن الانسان من أداء واجبه لربه ولنفسه ولمجتمعه ، وقد حرص الاسلام على العناية بها حرصا شديدا ، وعدها من النعم الكبرى التى يغفل الناس أو كثير منهم عن ادراك قيمتها ، ولا يكادون يحسون فضلها الا اذا نزع تاجها من فوق رءوسهم كما تقول الحكمة : الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يعرفه الا المرضى .

يقول النبى – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه البخارى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس . الصحة والفراغ » . ويقول فيما رواه النسائى عن أبى هريرة « ما أوتى أحد بعد يقين خيرا من معافاة » . ويقرر أنها أحد أركان السعادة التى لا تتم الحياة الكريمة الا بها فيقول كما رواه الترمذى عن عبد الله بن محصن الانصارى « من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » . كما يبين لنا صلى الله عليه وسلم أنها من أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ، هل شكر الله عليها أم لم يشكر . فيقول كما رواه الترمذى عن أبى هريرة « أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعم أن يقال له : ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد ؟ »

ولهذا كان يدعو ربه أن يمتعه بها لأنها تعينه على الطاعة وعمل الخير ، فقد روى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم عافنى فى جسدى وعافنى فى بصرى واجعله الوارث منى » وعلم أصحابه ان يسألوها ربهم فى الدعاء ، فقد جاء رجل اليه وقال يا رسول الله : أى الدعاء أفضل فقال : سل ربك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة . ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال مثل ذلك فأجابه النبى بمثل هذا الجواب ، وحدث كذلك فى اليوم الثالث وقال له : « فاذا أعطيت العافية فى الدنيا وأعطيتها فى الآخرة فقد أفلحت » رواه الترمذى عن انس وقال حديث حسن . وكذلك قال النبى لعمه العباس : « سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

ومنهج الاسلام فى المحافظة على الصحة يتلخص فى ثلاثة مبادىء أساسية :

المبدأ الأول : البعد عن كل ما يضر البدن . تحقيقا لقوله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » وقــول النبى صلى الله عليــه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » رواه احمد عن ابن عباس . وابن ماجه عن عبادة بن الصامت باســناد حسن . فنهى عن المطعــومات والمشروبات الضارة . وعن الاسراف فى تناول المباحــات ، وعن مخالطة المرضى والتعرض للعدوى او نقلهــا . الى غير ذلك من المحظورات .

والمبدأ الثانى : العناية بتقوية الجسم بالغذاء الصحى والشراب النقى والنوم الكافى والرياضة البدنية ، وذلك كله تحقيقــا لقول النبى صلى الله عليه وسلم « ان لبدنك عليك حقا » رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص . كمــا حث على النظافة التى هى ركن اساسى فى الصحة والوقاية من الامراض .

والمبدأ الثالث : المبادرة بالعلاج عند المرض فان لكل داء دواء، علمه من علم وجهله من جهل . وقد جاء فى الحــديث النبوى : « تداووا عبــاد الله ، فان الله خلق الداء والدواء » رواه الترمذى وصححه ، ورواه ابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك.

ويلاحظ فى هذا الموضوع أن جميع هذه الارشادات جعلهــا الدين تشريعا يثاب فاعلها ويعاقب مخالفها ، والنصوص الواردة فى ذلك كثيرة لا نطيل بذكرها هنا .

ثانيــا ــ الغنى والفقــر :

يظن كثير من الجاهلين أو المتعصبين أن الاســـلام يدعو الى الزهد فى الدنيا والاكتفاء منها بالقليل من الطعام والشراب وسائر المتع ، ويحبب فى الفقر ويمدح الفقراء ، وينعى على الغنى ويذم الأغنياء . والجوع ــ وهو أحــد مظاهر الزهــد ولازم من لوازم

الفقر – يؤثر على الصحة كثيرا ، الى جانب تأثيره على النشاط الحيوى والحضارى بوجه عام . وبهذا الفهم يطعن الاسلام بعدم تجاوبه مع الطبيعة وعدم مسايرته لسنة التطور والنهوض .

غير أن الزهد الذى يدعو اليه الاسلام وورد فيه مثل قول النبى صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » كما رواه الترمذى عن فضالة بن عبيد الانصارى وقال حسن صحيح – هذا الزهد ليس معناه ان يترك الانسان الدنيا ويعيش فقيرا معدما أو سائلا متطفلا أو راضيا بالدون . ولكن معناه الحقيقى – كما وضحته فى مناسبات أخرى – عدم امتلاك الدنيا لقلب الانسان وتسيطرها على فكره وسلوكه على وجه يشغله عن واجبه الدينى والدنيوى ، بمعنى أن تكون الدنيا فى كفه لا فى قلبه ، مسخرة لخدمته لا أن يكون هو مسخرا لخدمتها، كما يدل عليه قول النبى صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدنيار والدرهم والقطيفة والخميصة » رواه البخارى عن أبى هريرة .

والزهد بهذا المعنى لا ينافيه أن يكون الانسان عظيم الثراء ، متمتعا بطيبات الحياة ، فالحديث الشريف يقول « نعم المال الصالح للعبد الصالح » رواه أحمد عن عمرو بن العاص بسند جيد . وقد كان فى الصحابة شخصيات عظيمة جمعت من المال كثيرا ، وعرفت فيه حق الله والوطن فوجهته الوجهة الصالحة ، وسر النبى صلى الله عليه وسلم بموقف كثير منهم عند التبرع للمصالح العامة والاسهام الفعال فى حل الازمات ، كما حدث فى غزوة العسرة .

والاسلام يدعو الى رفع مستوى المعيشة بالوسائل المتنوعة . وقد ورد أن النبى عليه السلام كان يقول « أللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر » رواه أبو داود عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه .

وكان يدعو فى الصلاة قبل أن يتحلل منها بالسلام فيقول « اللهم انى أعوذ بك من المأثم والمغرم » رواه البخارى ومسلم عن عائشة . وكان من دعائه « اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك » رواه مسلم عن ابن عمر . وكان يقول اذا أوى الى فراشه « أقض عنا الدين وأغننا من الفقر » رواه مسلم وأصحاب السنن عن أبى هريرة . وعلم عليا أن يدعو بهذا الدعاء « اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك » رواه الترمذى عن على وحسنه .

وكان النبى يستعيذ من شر الغنى والفقر على السواء . كما رواه الترمذى وحسنه عن عائشة . فهو لا يحب الفقر الذى تذل به النفس ويمرض الجسم ويعوق عن أداء الواجب ويغرى بالسوء . كما يستعيذ من الغنى الذى يبطر ويصرف عن الخير ويدعو الى الفساد .

فهل يظن انسان بعد هذا أن الاسلام يحب الفقر والفقراء ويترك الدنيا لمن يتمتعون بها ، ويريد المسلمين أن ينزووا عنها قناعة بالدون حتى يأخذهم الموت ؟ سترى بعد ذلك ما يبين لك حيوية الاسلام ونشاطه ، وما أفادت الانسانية من حركةالمسلمين الناهضة وتبريزهم فى كل الميادين الحضارية .

ثالثا ـ كفاية القوت

مدخرات الكون كافية لتغطية حاجات البشر من الغذاء والمطالب ، وقبل أن يقرر خبراء العصر الحاضر ذلك قرره القرآن الكريم فى قوله سبحانه **((وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها))** ذلك ان الله هو الذى خلقنا وحده ، ونحن جميعا عباده ، فهو الكفيل بأرزاقنا « **الذى خلقكم ثم رزقكم** » « **هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض** » .

هو سبحانه قد هيأ للطفل رزقه قبل ان يولد . وأوحى الى الأجهزة الجسمية فى أمه أن تستعد لاستقباله ليجد غذاءه أمامه وقد وضح الطب ذلك بما لا يدع مجالا للشك فى رحمة الله وتكفله لرزق عبده قبل ان يخلقه « **وفى السماء رزقكم وما توعدون** » .

وقبل أن يهبط آدم من الجنة الى الارض كانت الدنيا عامرة بالخيرات التى نعم بها من كانوا موجودين من قبل أن يخلقهم فيها . على أن آدم لم يكن قد خلق بعد والأقوات موجودة مقدرة فى الأرض منذ آماد طويلة . فالله سبحانه وتعالى لم يخلق السموات الا بعد أن خلق الارض وقدر فيها اقواتها ؛ كما يدل عليه قوله سبحانه « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » وقال « **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم** » .

قرر القرآن ذلك قبل أن يقول « ميشيل سيبيد » الاستاذ بالمعهد الزراعى فى باريس — وهو حجة عالمى فى التغذية — ان علة الجوع ليست هى شح الطبيعة ولا وفرة سكان الأرض ، بل العلة هى الجهل ومشكلات علم الاقتصاد .

رابعا — تعدد نطاق الرزق :

نطاق الرزق وموارد الثروة ومنابعها كثيرة منوعة ، فهى فى الارض وفى البحر وفى كل ركن من أركان الدنيا ؛ واذا كنا الآن نعتمد على ما تجود به الأرض علينا من نبات وما يعيش

عليها من حيوان ، فان فى المحيطات وهى ثلاثة أرباع الكرة الأرضية مدخرا من الطعام يكفى – كما يقول الخبـراء – لتغطية حاجات أضعاف السكان الآن .

وفى تعدد موارد الثروة ومنابع الرزق يقول الله سبحـــانه « الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السـمـوات وما فى الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » .

وفى الثروة النباتية يقول : « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمـــرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » .

ويقول « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا ، نخرج منه حبا متراكبـا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا أثمر وينعه ، ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » .

وفى الثروة الحيوانية يقول « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون » . ويقول « وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغـــا للشاربين » . ويقول « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » .

وفى الثروة السمكية والبحرية عامة يقول « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » . وصدق الله العظيم « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

خامسا ـ اشتراكية الطعام :

هذا الرزق الذى يعج به الكون منحة من الله لعباده ، وهو مالكها الحقيقى ، ولهذا لا يجوز أبدا أن يحول احد بين الانسان وبين الانتفاع بها فى الحد الذى لا ضرر فيه ولا ضرار ، فالجميع أعضاء فى الاسرة الانسانيه التى تجمعها رحم واحدة ، فأبوهم آدم وأمهم حواء ، كما أن خالقهم جميعا واحد هو الله الذى له الخلق والأمر . فلكل انسان أن يأخذ من رزق الله على قدر همته ونشاطه ، وله أن يسلك من السبل ما يصل به الى مراده مع المحافظة على حقوق الآخرين . وعلى المجتمع كوحدة ان يوفر الغذاء لغير القادرين على تحصيله ، ضرورة تضامن الاسرة فى رعاية أعضائها . واظهر ما يطبق فيه هذا المبدأ هو تعاون البشر جميعا وتكافلهم وتضامنهم فى رفع مستوى المعيشة وحل مشاكل الانسانية ، وتبادل الخبرات الى غير ذلك من الوسائل والمظاهر التى تعمق معنى الاخوة فى نفوس الناس .

يقول الله سبحانه ((**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله اتقاكم**)) ويقول ((**يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام**)) ويقول ((**وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**)) .

هذه هى أهم المبادىء التى تساعد على تكوين صورة واضحة عن المشكلة ، ولنشرع الآن فى بيان أسبابها وعلاجها فنقول :

أسباب الجوع وعلاجها

تحدث الخبراء كثيرا فى حصر أسباب الجـوع ، وعنى الكثير منهم بسبب واحد أو أكثر وافاض فى بيان ارتباطه بالمشكلة ، واقعا فى ذلك تحت تأثير ثقافته وتخصصه وميـوله ، ومدى فهمه لقيمة السبب الذى يتحدث عنه ويبلور المشكلة فيه .

وبتتبع كثير من بحوث المختصين يمكن أن نرجع أسباب الجوع الى الامور الآتية : وهى قلة الانتاج ، وسوء التوزيع ، وسـوء الاستعمال ، وعدم التوازن بين زيادة الانتاج وزيادة السكان .

وكل الباحثين أو أكثرهم يعالج المشكلة على منهـج مادى بحت ، مغفلين سببا آخر لا يعلقون عليه اهمية ، أو يتجاهلون خطورته لارتباطه بالايمان بمن له السلطان الاكبر على الكـون كلـه .

وسأبين فيما يلى موقف الاسلام من هذه الاسباب وما وضعه من حلول للمشكلة .

١ ــ قلة الانتاج :

تعالج قلة الانتاج بالعمل على زيادته ، وقد رايت فيما سبق أن مدخرات الكون كافية لتغطية حاجة البشر كلهم من الغذاء ما بقيت على الارض حياة ، وترجع قلة الانتاج الى عدم استغلال

موارد الثروة على تنوعها . وذلك اما جهلا واما كسلا واما لاسباب أخرى .

واهم ما تتحقق به زيادة الانتاج هو مضاعفة الطاقة اللازمة للاستغلال . سواء اكانت طاقة بشرية أم طبيعية ام ميكانيكية . وتوسيع قاعدة النشاط وتعداد مجالات الاستغلال ، وتحسين الإنتاج . وحماية الثروة من الضياع ، وتعميق المعنى الجماعى والتمكين لروح التعاون بين الافراد والجماعات والدول .

ولبيان موقف الاسلام من هذه العوامل نقول :

١) مضاعفة الطاقة :

توجيه الطاقات لاستخراج كنوز الارض والافادة من مدخرات الكون لتحقيق الكفاية الانتاجية معناه العمل الدائب المستمر ، والاسلام وهو دين الحياة الكريمة والمدنية الفاضلة . يجعل العمل بمعناه الواسع أحد الركنين الاساسيين اللازمين لسعادة البشر فى العاجلة والآجلة . وقلما تجد آية فيها ذكر للايمان الا والعمل مقرون به ، والمقصود بالعمل كل نشاط فكرى او بدنى ، مادى أو ادبى يهدف الى خير الفرد والمجتمع . وقد قرر القرآن أن نتيجة هذا النشاط هى الحياة السعيدة الطيبة ، قال تعالى ((**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » .

والاسلام لم يكن دينا روحيا خالصا يعزل الانسان عن معترك الحياة ، بل هو الى جانب تقديسه للروحية لا يغفل العلائق المادية . فكما أن الانسان مأمور بالصلاة ، مأمور بالسعى لطلب الرزق ، قال تعالى ((**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله**)) وهو يحرم على المسلم أن يعطل قواه أو يوجه طاقته

الى غير ما يفيد ، فهو يكره العجز والكسل ويمقت التكفف والاستجداء ، ولا يرضى له ان يقنع بالدون اذا كان قادرا على الكمال . فالمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف. وقد أمره النبى أن يحرص على ما ينفعه وان يستعين بالله ولا يعجز . والا يستسلم لليأس عند العقبات . ومدح اللقمة التى يكسبها الانسان بجهده وعمله فيقول « ما أكل احد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » رواه البخارى عن المقدام بن معديكرب.

والاسلام لا يقبل أن تكون فى المجتمع قوى معطلة أو طبقة تعيش على اكتاف غيرها ، فالحديث الشريف يقول « لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله وجهه خير له من أن يسأل الناس ، اعطوه أو منعوه » رواه البخارى عن الزبير بن العوام .

ولما هاجر المسلمون من مكة الى المدينة عرض عليهم الانصار أن يقاسموهم أموالهم بغير مقابل ، قياما بواجب التعاون على الخير ، ولكن النبى ومعه المهاجرون ابوا الا أن يكون عيشهم بكفاحهم وسعيهم . فنزل بعضهم الى ميدان التجارة و بعضهم الى ميدان الزراعة فى حقول الانصار « عليهم العمل والمؤونة ولهم فى مقابل ذلك شطر من المحصول » .

وجعل الاسلام العمل ضريبة على الفرد للمجتمع الذى يعيش به . وكان النبى وصحبه فى ذلك مضرب الامثال ، وعمر بن الخطاب هو القائل : لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى ، فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . والرجل الحر الأبى لا يرضى أن يوصف بالكسل والعجز حتى فى الصورة الظاهرة غير الحقيقية ، يقول يزيد بن المهلب : ما يسرنى أنى كفيت أمر الدنيا كله . قيل له : ولماذا ؟ قال : اكره عادة العجز . وفى

أمثال العرب : كلب جوال خير من أسد رابض . ويقول أبو سليمان الدارنى ـ وهو من أعلام الصوفية ـ ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك . ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد .

وقد كره النبى صلى الله عليه وسلم من المسلم أن يجلس بجوار عين الماء ، يشرب منها وينقطع للعبادة قانعا بذلك عن السعى والعمل ، كما رواه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه عن أبى هريرة . ورأى رجلا يستجدى فرسم له طريقا عمليا يكسب منه عيشه بجده ويصون ماء وجهه . فحسن حاله بعد قليل . والاسلام لا يعفى أى انسان من العمل لأى معنى فيه ، اللهم الا العجز ، فمجالات العمل واسعة ، ولكل أن ينزل الى الميدان الذى يناسبه . وفى الحديث « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » رواه مسلم عن على .

من الخير أن تراجع فى هذا الموضوع رسالة « الاسلام دين العمل » التى نشرها لى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ليتضح لك تماما موقف الاسلام الرائع من العمل ، فى دفعه القوى لجميع الطاقات من أجل تحقيق الكفاية والنهوض بالأمة .

والطاقة البشرية هى التى تخلق الطاقات الفنية والميكانيكية، ويمكنها أن تفيد من الطاقات الطبيعية ، وذلك بالعلم والكشف والاختراع ، وهو ضرب من العمل فى ميدان نتيجته الحصول على ثمرة وفيرة بجهد قليل ، الى جانب مافيه من الحصول على رصيد من الطاقة الجسمية تستغل عند الحاجة ، وتوفر للجسم راحته وتحفظ عليه صحته .

والاسلام يشجع ابتكار الوسائل الجديدة للاستغلال ، التى تتطور مع الزمن وتناسب مقتضيات العصر ، وتواجه واقع

الحياة لتغطية مطالبها ، وما من شك فى ان الآلات والوسائل البدائية للاستغلال تستنفد طاقة بشرية كبيرة . فى الوقت الذى يكون الانتاج فيه قليلا ، لا يتناسب مع نمو عدد السكان وتعقد مطالب الحياة .

والعلم والاختراع وتبادل الخبرات خير ما يفيد فى هذا المجال ولا يخفى على أى انسان موقف الاسلام من العلم النافع وتشجيعه الى حد لايوجد له مثيل فى الأديان الاخرى . وهو اذ يشجع العلم يريد به كل معرفة اساسها البحث والنظر لتجلية اسرار الكون والافادة من ذخائره لخدمة المجتمع وعمارة الأرض بالخير وتعميق معنى الايمان بالله فى النفوس .. اقرأ هذه الآية وانعم النظر فيها تتكشف لك انواع العلوم التى تدعو اليها وآثارها . يقول الله سبحانه ((**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك . انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور**)) أليس فى هذه الآية ــ وهى واحدة من عدة آيات ــ ما يبين اهمية علوم النبات والحيوان والانسان والطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والمساحة والفلك وغيرها ؟.

ب) توسيع قاعدة العمل وتعدد المجالات :

تقدم لك أن مظان الرزق كثيرة ومنابعه متعددة ، فهى فى البر والبحر والجبل وكل زوايا الكون . وقد سخر الله الكون كله للانسان وجعله مسرحا لنشاطه ، والواجب أن توجه القوى لاستغلال هذه المنابع جميعا ، لا أن تقصر على منبع واحد أو أكثر ويهمل سائرها . وقد ذكر الخبراء أن البحر ينتج من المواد الغذائية مائة مليون طن سنويا . ولا يحصل الانسان فى العالم الا على نسبة ضئيلة فى صورة اسماك .

وفى الشرق الاقصى تصـــنع الشعرية من التايورات . ففى تايلاند مثلا يؤكل سنويا اكثر من خمسة آلاف طن من هذا الطعام الغنى بالعناصر الغذائية ، والذى يزخر به البحر ؛ والحوت اذا غذى بطعام يتألف كله تقريبا من التايورات أصبح من الضخامة بحيث ينتج خمسة عشر طنا من الزيت وكمية من الشحم تعادل ما فى خمسمائة من الحيوانات المشهورة به ؛ ومن اللحـم ما فى اثنين وسبعين راسا من الماشية .

والقرآن حين يقرر ان الله جعل الارض ذلولا لا تستعصى على من يستخدمها لمنفعته ، يأمرنا أن نتفرق فى جنباتها ، ونسلك كل الوسائل الممكنة للافادة من خيراتها . يشير الى ذلك قوله تعالى « **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** » وقوله « **الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك الكم فيها سبلا** » وقوله « **فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله** » والانتشار فى الارض فيه ايماء الى سلوك عدة طرق للحصول على الثروة وابتغاء فضل الله .

وفى قطاع الزراعة التى تعتمد عليها التغذية أكثر من غيرها ؛ يحرص الاسلام على الافادة من قوة الارض الانتاجيـــة وعدم تعطيلها ، يساعد على تشجيع المشروعات التى تستهدف تحويل ريها من نظام الحياض الى الرى الدائم لامكان الحصول على عدة محاصيل فى العام ، وكل ما يساعد على هذا من اقامة الســدود والخزانات وحفر الترع يشجعه الاسلام ، لانه يؤدى الى الخير الذى هو مطلوب الشرع فى كل صوره وأشكاله ، وهو صورة من صور البر الذى أمرنا بالتعاون عليه فى قوله سبحانه « **وتعاونوا على البر والتقوى** » كما أنه نوع من المعروف الذى يقول فى مثله النبى صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة » رواه البخارى عن جابر ومسلم عن حذيفة . وهو أيضا من الصدقات الجارية التى يدوم نفعها ويتصل ثوابها .

ومما ورد فى الحث على النشاط الزراعى حديث « ما من مسلم يفرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة » رواه مسلم عن جابر . وهو بهذا يرغب فى تكثير الايدى العاملة فى الزراعة ، ويشجع على الاقامة فى الريف لمباشرة هذه المهنة الشريفة . والخبراء الآن يشكون من قلة العمال الزراعيين وكثرة سكان المدن الذين يترفعون عن الاشتغال بالزراعة .

والاسلام يشجع توسيع الرقعة الزراعية باستصلاح الاراضى، ويعد العاملين فى توفير المياه لها بالسدود والترع والآبار وغيرها من المجاهدين فى سبيل الله . ففى وفرة الغذاء اغناء للانسان عن السؤال وكفاية للضعفاء والعجزة عن الآباء الكبار والاولاد الصغار . وقد ورد فى هذا أن الصحابة كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فراوا شابا قويا ــ وقد خرج مبكرا يسعى لكسب عيشه ــ فقالوا : ويح هذا لو كان خروجه فى سبيل الله . فقال لهم النبى « لاتقولوا هذا ، فانه أن كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله » رواه الطبرانى عن كعب بن عجرة ورجاله رجال الصحيح . ومما ورد فى بعث الهمم لاستصلاح الاراضى قول النبى صلى الله عليه وسلم «من أحيا أرضا ميتة فهى له» رواه احمد والترمذى وصححه عن جابر .

ولا شك ان توسيع رقعة الارض الزراعية عامل مهم فى زيادة الثروة الغذائية ، وما تزال فى العالم مساحات شاسعة من الارض الخالية من الزراعة والصالحة لها .

ويذكر المختصون ان فى اثيوبيا وحدها أكثر من ١٨٠ مليونا من أخصب الافدنة وفى حوض الامازون بالبرازيل أراض بكر

« ومساحته تقرب من جزء من عشرين من سطح اليابس » وقد جاء فى بحث الامم المتحدة عن السكان وكميات الطعام أن موارد الزراعة فى البرازيل تكفى لاطعام عدد من السكان يزيد كثيرا على الستة عشر مليونا الحاليين . وقال ما نصه : ان بقاء الفقر والجوع لا يبرحان البلاد برغم قدرتها الفعلية على انتاج الطعام والتقدم الصناعى دليل على حقيقة مؤسفة وهى أنه لا خير فى قدرة كهذه اذا لم تسر القدرة على استغلال الموارد الطبيعية وبناء راس المال الاجتماعى والاقتصادى جنبا الى جنب مع نمو السكان .

وكان فى روسيا سهوب يطلق عليها سهوب الجوع «جولوديانا» فسميت بالسهوب السخية بعد ان استصلح منها حوالى ١٧٥ مليونا من الافدنة انتجت كثيرا من الحبوب ، وذلك فى المدة من ١٩٤٩ ــ ١٩٥٦ م .

جـ ــ تحسين الانتاج ..

تحسين الانتاج يقوم على عدة عوامل ، منها اختيار البذور التى تعطى غلة أوفر وقيمة غذائية أكبر ، وتقاوم العوامل المضادة بشكل أقوى من غيرها ، ويكون الجهد الذى تتطلبه أقل بقدر الامكان . ومن ذلك أيضا اختيار السلالات الحيوانية التى تعطى نتاجا أفضل من لحم ولبن ونسل ، وتتحمل العوامل المختلفة بتكاليف أقل ، كما أن من العوامل أيضا دراسة التربة واختيار البذور المناسبة لها ، والعناية بتسميدها بالمخصبات التى تناسب كل نوع من الارض ومن النبات ، وتغذية الحيوانات على أسس علمية ، ومنها نظام الدورات الزراعية الذى تسير عليه بعض البلاد حيث تتعاقب فيه المحصولات على الجزء الواحد من الأرض فتحفظ لها خصوبتها ، الى غير ذلك من الوسائل التى يتكشف عنها العلم وتصل اليها التجارب .

ومما يجدر ذكره فى هذا المجال العمل على اكتشــاف نباتات غذائية تضم الى قائمة النباتات المعروفة · وقد جاء فى رســالة اليونسكو أن هناك عشبا صغيرا من أعشاب الماء العذب اسمــه « الكلوريلا » يستطيع أن يحول جميع الطاقة التى يتلقاها من ضوء الشمس تقريبا الى نبات ، وهو يزيد وزنه أربعة أضعــاف فى اثنتى عشرة ساعة ، وغلة الفدان منه فى العام اكثر من مائة طن ، أى عشرة أضعاف غلة القمح وتستطيع مساحة خمســـة أميال أن تنتج ما يكفى ثمانين مليونا من الأنفس من البروتين ؛ وأن مقدار البروتين فى هذا النبات يبلغ ستة أضعافه فى الأرز وثلاثين ضعفا فى فيتامين « أ » الممثل فى كبد العجل ·

والأسلام لا يقف فى أى طريق من هذه الطرق التى تنتــج الخير وتسعد بها الحياة ، بل هو يشجعها ويستحث الهمم اليها كصورة من صور العلم النافع الذى مرت الأشارة اليه فى قوله تعالى « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ··** » كما أن هــذا مظهر من مظاهر المعروف الذى يدعو اليه الدين ·

بل أن الدين فى مثل هذه الحالات يدع حرية الفكر والتجربة تأخذ مجراها فى عالم البحث فى هذه الشئون ، ومما يشير الى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم عندما رأى قوما يأبرون النخل ــ أى يلقحون الأنثى بطلع الذكر ــ قال « لعلكم لو لم تفعــلوا كان خيرا » فترك القوم عملية التلقيح فخرج التمر شيصا ، فلما بلغ النبى ذلك قال لهم « انتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم عن أنس وغيره · وهذه الجملة الحكيمة تفتح أبواب التجربة عــلى مصاريعها ، وتغرى بالدخول الى ميدان العلم فى طمأنينة وأمل ، يدفع اليهما ثقة بالنفس واستقلال الشخصية العلمية التى لا ترى فى الدين سوطا مصلتا يوقف نشاطها أو يرهبها اذا أرادت أن تخطو خطواتها الطبيعية لخدمة الحضارة البشرية ·

د ـ حماية الثروة :

الحماية اما حماية مصدر الثروة ومنبعها ووسيلتها . واما حماية الانتاج والثمرة ، وسبيل ذلك حماية النبات والحيوان ومصدر الرزق من الأفات التى تضرها والطفيليات التى تعوق نموها والأخطار التى تهدد انتاجها وحماية الثمرة من الفساد أو الضياع بأية وسيلة من الوسائل .

ولا يجهل أحد جسامة الأضرار التى تنتج عن اصابة الحيوان أو النبات بالأمراض والآفات ، وما يضيع على البشر بسبب الحشرات والهوام والطيور التى تفسد المخزون وما تختلسه القوارض وغيرها . وقد قدر الخبراء أن ما تفقده الجمهورية العربية المتحدة من القمح بسبب الآفات ١١ ٪ ومن الذرة ١٣٪ ومن الارز ١٠ ٪ ونشر فى أهرام ١٣/٤/١٩٦٣ أن الفئران فى فرموزا أربعة أضعاف عدد سكانها « ٥ر١١ مليون نسمة » وتستهلك سنويا مالا يقل عن أربعين ألف طن من الأرز ، وكان الجراد والقمل ـ السوس ـ من أنواع العذاب الذى أصاب قوم فرعون كما يقول سبحانه « **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين** »

والأسلام لايرضى لهذا الخير أن يضيع ويحرم منه الانسان ، ويشجع كل طريقة تحافظ عليه ، وقد ورد فى الحديث الشريف أن الله كره اضاعة المال ، كما رواه البخارى ومسلم عن المغيرة بن شعبة .

هـ ـ الروح الجماعية :

زيادة الانتاج بهذه الوسائل تحتاج الى تضافر الجهود المختلفة وتبادل الخبرات الفنية المتنوعة ، وتيسير انتقال المختصين من

بلد الى بلد ، والحصول على المبيدات والمخصبات والسلالات الجيدة وتنظيم الحجر الزراعى ورقابة تنفيذه ·

والروح الفردية لاتجدى نفعا فى توفير هـــذه الوسائل ، والحزازات الشخصية والميول السياسية لا ينبغى أن تتدخـــل فى مثل هذا العمل الانسانى الكبير ، وكل ذلك مندرج تحت قول الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعـــاونوا على الأثم والعدوان » وقوله « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكـــم خاصة » وقول النبى صلى الله عليه وسلم « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » رواه مسلم عن أبى مسعود البدرى ·

٢ ـ سوء التوزيع :

هذا هو السبب الثانى من أسباب الجوع ، وهو يقوم عـلى تمكن فرد أو جماعة أو دولة من الدول من التمتع بالغذاء مـع حـرمان الآخرين منه ، لعدم اتاحة الفرصة لهم أن ينالوا قسطهم الذى يحفظ لهم صحتهم ويوفر لهم الحياة الكريمة · وأســاس ذلك هو تمكن الروح الفردية وتحكم الأنانية فى الأفراد أو الجماعة أو الدول ·

والعلاج يكون بأصلاح القاعدة الأساسية لهذه الظاهرة ، وذلك بتعميق الروح الجماعية فى النفوس لتشعـــر بالأخـوة الانسانية العامة ، وبوحدة الجنس فى مبدئه ونهايته ،وبرسالته التى يجب أن يؤديها لهذا الوجود ·

والتطبيق العملى لذلك هو عدالة التوزيع لهــذه الثروة التى خلقت للناس جميعا ، وتكافؤ الفرص أمام الجميع ليحصل كل على نصيبه من الثروة كغيره من الناس ·

وعدالة التوزيع فى صورتها الكاملة من أعقد الأمور التى بذل فيها علماء الاقتصاد جهودا جبارة ، واختلفوا فيها طرائق قـددا

ومذاهب شتى ، ولم يصلوا بعد الى الحل الأوفق للوصول الى هذا الهدف .

وأقرب الحلول لتحقيق العدالة أو القرب من الوصــول الى صورتها الكاملة هو النظام الاشتراكى المعتدل ، الذى وضــع الاسلام فلسفته التعاونية الانسانية ، ودعمها بالمعانى الأدبيــة العالية من الرحمة والمحبة والايثار ورعاية الحقوق وصيــانة الحرمات .

والاسلام فى فلسفته الاشتراكية القائمة على التعاون المــادى والأدبى غنى بالنصوص والوقائع التى تثبتها وتؤيدها وتوضــح جوانبها .

والتعاون الى جانب كونه ظاهرة ضرورية لامكان استمــرار الحياة الكونية فى عالم الجماد والنبات والحيوان ، وهــو من ألزم اللوازم للجنس البشرى ، ليستطيع أن ينهض بالأعبــاء الجسام الملقاة على عاتقه كخليفة فى الأرض جاء ليعمرها بالخير ، وقوله سبحانه « **وتعاونوا على البر والتقوى** » ينص على وجــوبه ويبين ميدانه المشروع ويحدد معالمه تحديدا واضحا . والبر هو كل عمل نافع مفيد فى أى المجالات من اقتصــادية وثقافية واجتماعية وسياسية وغيرها . والتقوى المأمور بالتعاون عليهــا هى اتخاذ الوقاية التى تحمى هذا البر أن تناله يد الفســاد أو تدنس حماه عوادى الظلم والطغيان . وقد رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى التعاون فى أحاديث كثيرة منها « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يــوم القيــامة . ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عــون العبد مادام العبد فى عون أخيه » رواه مسلم عن أبى هريرة . وقوله « أحب الناس الى الله أنفعهم للناس » رواه الأصبهــانى

عن عبد الله بن عمر . وقوله « من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين » رواه الطبرانى عن ابن عباس . وهو ينهى عن الانعزالية والسلبية فيقول « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » رواه الحاكم عن حذيفة بن اليمان . ويقول «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الاشعرى . ويقول « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير . ويقول « يد الله مع الجماعة » رواه الترمذى عن ابن عباس وحسنه

ومما هو نص فى موضوع الغـذاء قول الرسول عليه الصلاة والسلام « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ،ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له » يقول أبو سعيد الخدرى راوى الحديث : فذكر من اصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا فى فضل . رواه مسلم . كما يقول أيضا « يابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك . ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول » رواه الترمذى عن أبى أمامة وقال حسن صحيح .

وكان لهذا التعاون أثره البالغ فى حل الأزمات ومواجهة الطوارىء . وأبرز مثل لذلك هو موقف الأنصار من اخوانهم المهاجرين ، الذين تركوا ديارهم وأموالهم وهم ألوف ، نزلوا على الأنصار بالمدينة فوسعتهم قلوبهم وأموالهم وديارهم حتى كان الواحد منهم يتنازل عن احدى زوجتيه ليتزوجها المهاجر .

وقد تبرع عثمان رضى الله عنه بتجارته عام قحطت المدينة ، ولم يقبل من التجار أرباحا طائلة ، مؤثرا ما عند الله على ما عند الناس ، فهو خير وأبقى . وفرض عمر اذ ذاك نظاما تعاونيا أساسه التقشف وترك الكماليات لتسد بها الضرورات . وطبق

ذلك على نفســـــه حتى شكا بطنه ألم الزيت الذى كان يأتدم به وحده ، وقد مر بك بيان موقفه من جابر فى شرائه اللحم وبطون الفقراء خاوية ٠

وقد أمتدح النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الأشعريين لأنهم كانوا اذا أرملوا فى غزو أو سفر جمعوا أزوادهم وخلطوها ثم اقتسموها بينهم بالسوية ٠ وقال النبى فيهم « هم منى وأنا منهم » رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى ٠

وقد أهدى أحد العمال على الولايات الى عمر رضى الله عنه طعاما طيبا فرده عليه وأرسل اليه يوبخه ويوجهه بقوله : أشبع المسلمين مما تتشبع منه فى رحلك ٠ وفى كتاب من على بن أبى طالب الى عامله على البصرة عثمان بن حنيف : ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هــذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبنى هواى ويقودنى جشعى الى تخير الأطعمة ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لاطمع له فى القرص ولا عهد له بالشبع ، أو أبيت مبطانا وحولى بطون غرثى وأكباد حرى، أو أكون كما قال القائل :

وحسبـــك داء أن تبيت ببطنة

وحـــولك أكبـــاد تحن الى القد

والقد هو سير من جلد مدبوغ ٠

ويتأكد التعاون فى صوره التى تنم عن التكافل والتضامن الاجتماعى القائم على معونة الأغنياء للفقراء ورعـــاية العجـــزة والضعفاء وذوى العاهات وغيرهم ممن لا تمكنهم ظروفهم من كسب القوت الذى يحفظ عليهم حياتهم ويكرم انسانيتهم ، وهذا المجال تدفع اليه الرحمة والشفقة والمشاركة الوجدانية ، ويغلب عليه المعنى الانسانى الذى يبذل فيه ولا ينتظر الكسب المادى ٠

وقد وردت فى هذا اللون من التعاون نصوص كثيرة ،فبالاضافة الى ما سبق يقول الله تعالى « **ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير** » « **فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر** » « **أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين** » . ويحذر من اضاعة أموال اليتامى أو التصرف فيها بسوء فيقول « **ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** »

ويرفع النبى من شأن من يرعاهم فيقول « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وأشار باصبعه السبابة والوسطى وفرج بينهما . رواه البخارى عن سهل بن سعد . ويقول فى رعاية الضعفاء عامة « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » وفى رواية « كالقائم الذى لايفتر وكصائم الذى لايفطر » رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة . ويقول « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين » وضم أصابعه . رواه مسلم عن انس . والجاريتان هما البنتان . ويقول « اللهم انى احرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة » رواه النسائى باسناد جيد عن أبى شريح خويلد بن عمرو الخزاعى . ومعنى أحرج : ألحق الحرج وهو الاثم بمن ضيع حقهما ، وأحذر من ذلك تحذيرا بليغا . ويقول « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم » رواه الطبرانى والبزار عن أنس واسناده جيد .

وقد قرر الفقهاء أن الأغنياء اذا لم يقوموا بهذا الواجب نحو المحتاجين أرغمهم السلطان على ذلك ، كما قرره ابن حزم فى المحلى حيث يقول : وفرض على الاغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الأقوات بهم ولا فىء سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن

يكنهم من المطـــر والصيف والشمس وعيون المارة • ويستعرض ابن حــزم نصــوص القرآن والحــديث ويعــلق عليهــا برأيه ، فــيروى بالسنــد الصحيــح « من لا يرحــم النـــاس لا يرحمه الله » ثم يقول : ومن كان على فضلة ورأى المسلم أخاه جائعا عريان ضائعا فلم يغنه فما رحمه بلا شك • ويروى أيضــا بالسند الصحيح عن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصـــديق أن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء ، وأن رسول الله قال « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث • ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » وروى كذلك « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه » ثم يقول : من تركه يجوع ويعرى وهو قادر على اطعامه وكسوته فقد اسلمه • وينقل عن عمر قوله : لــو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين • وينقل عن على قوله : ان الله فرض عــلى الأغنياء فيء أموالهم بقدر ما يكفل فقراءهم ، فأن جاعوا أو عروا أو جهدوا فيمنع الأغنياء ، وحق عــلى الله أن يحاسبــهم يــوم القيامة ويعذبهم •

وبهذا التعاون الممزوج بالرحمة وعمق المشاركة الوجدانية يحول الاسلام دون تضخم رأس المال وانحيازه الى فئة خاصة ، يقول الله سبحانه ، بعد أن بين الجهات التى يقسم عليها الفيء **((كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم)) ومن أجل هذا حرم الاسلام الربا ((يمحق الله الربا ويربى الصدقات)) • ((وما آتيتم من ربا ليربو فى أمــوال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون)) ((الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كمــا يقــوم الذى يتخبطه الشيــطان من المس » •**
كما حرم الاحتكار ونفر منه ففى الحديث « **من احتكر طعامــا فهو خاطئ** » رواه مسلم وغيره عن معمر • وحرم استغلال النفوذ للأثراء على حساب الآخرين ، وحديث ابن اللتبية فى ذلك مشهور

حين استعمله النبى على جمع الصدقات فرجع بمال كثير لخاصة نفسه وزعم أنه أهدى اليه ، فغضب النبى وقال « أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا » رواه البخارى ومسلم عن عبد الرحمن بن سعد الساعدى . وحرم البخل ،ففى الحديث « اتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » رواه مسلم عن جابر .

كما فرض الضرائب والمقادير على مختلف أنواع النشـــاط الاقتصادى ومنها زكاة المواشى والزروع والثمار وغيرها ؛ وشرع الخراج وضريبة الركاز والمعادن ، وفرض الكفارات على كثير من الخطايا .

وهذا التعاون الذى يحل مشكلة سوء التوزيع أو يخفف حدتها كما يكون بين الأفراد يكون بين الجماعات والدول . فعـلى الدول المتقدمة اقتصاديا وعلميا توفرت لديها الأقوات والخبرات أن تساعد الدول المتخلفة والمحتاجة ، وأن يكون هناك تسهيـلات كبيرة للاستيراد والتصدير . كما يجب أن تتوارى فى هذا المجال وأن تسود الأخوة بأوسع معانيها بين الناس جميعا ؛ وعلى هـذا الأساس لايرضى الأسلام عن سياسات التجـويع والحصـــار الاقتصادى ، ومشروعات الأسواق المشتركة التى تستغل للأضرار الانسانى النزعات السياسية والاتجاهات المذهبية والاجتماعيـة بالآخرين ، وما تعمد اليه بعض الدول المحتكرة لتجارة صنف من الأصناف من اتلافه أو اتلاف جزء كبير منه عند زيادةالمحصول لضمان ارتفاع سعره وما الى ذلك من الأمـور التى تنبعث من الأنانية وحب الذات .

ومما يذكر للاسلام بالفخر والاعتزاز أن النبى صلى الله عليه وسلم ــ بالرغم من أن قريشا فرضت عليه وعلى أصحابه وهـم بمكة حصارا اقتصاديا اضطروا فيه الى أكل ورق الشجر ،وبالرغم

من اخراجهم له هو ومن معه من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . ومن اضطرارهم للنزول على الأنصار بالمدينة ، مما كان سيتسبب فى كارثة فادحة لولا الروح التعاونية العالية التى جعلت الأنصار يسخون بكل ما عندهم لتلافى هذه الأزمة . **« يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة »** ـ بالرغم من كل هذا ومن قيامهم بعدة محاولات للقضاء على الدعوة الاسلامية فى شكل حروب واشتباكات ـ لم يعاملهم النبى بالمثل فى سياسة التجويع وغلب عليه المعنى الانسانى الذى كان ديدنه فى كل تصرفاته حتى مع اعدائه . فقد روى البخارى ومسلم أن ثمامة بن أثال الحنفى سيد بنى حنيفة ، لما أسلم ذهب ليؤدى عمرة بمكة فعاتبته قريش على اسلامه ، فحلف أن ينتقم منهم . وقرر أن يمنع وصول حبة واحدة من قمح اليمامة اليهم حتى يأذن رسول الله ، وكانت اليمامة ريف مكة ، أى الجهة التى تمونها بالحبوب والطعام ، فانصرف الى بلاده ومنع تصدير القمح الى مكة حتى جهدت قريش وأكلوا العلهز ، يعنى الوبر والدم ، فكتبوا الى رسول الله يسألونه بأرحامهم وأرسلوا اليه اباسفيان ليحل معه هذه المشكلة ، بأن يكتب النبى الى ثمامة يخلى اليهم حمل الطعام ففعل رسول الله ، نزولا على مافى قلبه من رحمة وانسانية بالغة ، فالشجاعة لاتكون بمثل هذه الوسائل . وكان ذلك فى اعقاب تجمع قريش ضد النبى وصحبه فى غزوة الأحزاب التى جمعوا لها الجموع للقضاء على المسلمين .

ومما يساعد على التخفيف من حدة سوء التوزيع تعاون الدول على فتح باب الهجرة من المناطق المزدحمة بالسكان الى الأقطار الأخرى التى تستطيع استيعاب أكثر ممن فيها . وقد كانت الهجرة منفذا لكثير من ابناء البلاد العربية ، وجدوا فيها عيشا كريما فى جهات كثيرة فى افريقيا وأسيا ، وهم الى جانب تحسن

أحوالهم أفادوا أوطانهم الأولى فى الناحية الاقتصادية والسياسية افادة كبيرة ٠

كما كانت الهجرة من أوربا الى أسيا وأفريقيا بانشاء الشركات والاستيطان ثم بالاستعمار منقذا لها من المجاعة أثر زيادة سكانها وضيق مساحتها عن الوفاء بالمطالب الغذائية ،وكانت الأسواق التى فتحت للأوربيين فى هاتين القارتين سببا فى رخائها وقد ذكر الخبراء أن الهجرة بين الغارات تناقصت فى القرن العشرين ، على نقيض زيادتها وأهميتها فى القرن التاسع عشر ، وقد يكون ذلك لأن تلك الهجرات خصوصا من أوربا ودول الاستعمار لم تكن قائمة على دوافع انسانية كريمة ؛ بل على الاستغلال والاحتكار والتحكم ، ولو كانت بغير هذه الروح ما لجأت دول كثيرة الى منعها خوفا من المزاحمة والعقابيل السيئة ٠

وفى الأسلام نصوص كثيرة تشجع على الهجرة وتغرى بها ،قال تعالى ((**الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا ،وانزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ٠ كلوا وارعوا أنعامكم ، ان فى ذلك لآيات لأولى النهى » ويقول « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » ٠ ويقول ((فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله)) ٠ ويقول ((ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)) ويقول ((ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة)) ويقول ((وأرض الله واسعة))**

وكانت هذه الروح الأسلامية نحو الهجرة دافعا للعرب الى الانتشار فى جنبات الدنيا يحملون هداية الدين ويطبقون تعاليمه

البناءة المعمرة ، وكان نشاطهم فى جميع المجالات مضرب الأمثال. انهم هم العرب الذين يقول قائلهم ٠

واذا الكريم رأى الخمول نزيله
فى منزل فالحزم أن يترحلا

سفها لحلمك ان رضيت بمشرب
رنق ورزق الله قد ملأ الفلا

وهم الذين تحدث عنهم « درابر » فى نشاطهم الواسع فى العلوم وغيرها فقال : ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليافى التقدم الباهر الذى نالته الصنائع على عهدهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعة فى أساليب الرى والتسميد وتربية الحيوان وسن النظامات الزراعية الحكيمة ، وادخال زراعة الأرز والسكر والبن ٠ وقد حدث هذا بالطبع فى الأقطار الزراعية التى هاجر اليها من بلادهم الصحراوية التى لا تتوفر فيها المياه ٠

٣ ـ سوء الاستعمال :

هذا هو السبب الثالث من أسباب الجوع ، والمعلوم أن نعم الله على العباد كثيرة ومنوعة ، وهذه النعم قد يحسن أصحابها استعمالها بتوجيهها للخير فيفيدون منها كما يفيد المجتمع أيضا ، وقد يسيئون استعمالها فتنقلب نقمة عليهم وعلى من يتصل بهم فى محيط خاص أو عام « **لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابى لشديد** » .

صدق الله العظيم ٠

ومن هنا كانت هداية الله للبشر على أيدى رسله والمصلحين من الناس ، تبين ٠٠٠

لهم الطريقة الصحيحة لاستخدام هذه النعم ، وتحذرهم مغبة مخالفتها ، وذلك أشبه بالآلة الميكانيكية مثلا ، لا يتمكن من استعمالها الا من عرف أسرارها وكيفية الافادة منها ، وذلك عن طريق دليل يرشده أو علم يهديه ٠

ومن سوء استعمال المظاهر الآتية :

أ ـ الاهتمام بالكماليات واهمال الضروريات ، وتقديم المهم على الأهم منها ٠٠

ان أول شيء توجه اليه النعمة هو التغذية ، فبها تقوم الحياة وتتحرك الأعضاء لمباشرة المهام ، وحق الحياة مقدم على كل الحقوق، والتغذية أساسها الأول ، ولهذا كان الطعام أول ما وجه الله اليه آدم حين أسكنه الجنة « **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** » ٠٠ **وطمأنه عليه بقوله « ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى »** ٠

ومن السفه أن يؤثر الانسان شيئا آخر على الطعام الرئيسي الذي يقيم صلبه ويحفظ عليه صحته ، فالذين يلبسون أفخر الثياب ليظهروا أمام الناس بمظهر الترف والجمال ، والذين يؤثثون بيوتهم بفاخر الأثاث وغالي الفراش ، ويقتنون التحف والجواهر وما اليها ، في الوقت الذي لا يهتمون فيه بتغذية أنفسهم تغذية كافية وصحيحة ، مقتصرين على قليل لا يغني أو نوع لا يفيد ، مملوئين فخرا وتيها بما لبسوا وما أثثوا وما اقتنوا ٠ هؤلاء قوم يسيئون التصرف في نعمة الله ٠

والذين يدمنون شرب الدخان أو الشاي والقهوة مثلا ، يستغنون بذلك في كثير من الأحيان عن الطعام ، اما ايثارا لها ، واما اكتفاء بها ٠٠ واما لضعف حساسيتهم بالجوع من أثر ادمانهم

٠٠ هؤلاء قوم يضرون أنفسهم ويجنون على صحتهم لاسـاءتهم التصرف فى نعمة الله عليهم ٠

لقد ذكرت احصاءات الخبراء أن شعوب البحر الابيض المتوسط تستهلك كثيرا من السكر والشاى يعادل ما تستهلكه البلاد التى يبلغ دخلها عشرة أضعاف دخل الفرد فيها ، وقد قدروا ما يستهلك من الشاى والسكر فى الاسرة المغربية المتوسطة بمرتب شهرين ٠

ومن هذا القبيل من يقتنون قططا أو كلابا أو حيوانات وطيور للزينة ، أو لغير أغراض صحيحة ، وينفقون عليها بسعة لاستكمال الترف والمتعة ، وقد يقفون عليها أحباسا ويؤمنون عليهـا لدى الشركات ، مع حاجة كثير من الأفراد والأسر الى الفتات المتبقى من طعام هذه الحيوانات لتمسك به حياتها وتسد جوعتها ٠

ويشير الباحثون فى هذه النقطة الى سلوك بعض القبائل التى تعيش فى شرقى افريقيا كالماساى ، فهم يقتنون الماشية كرأسمال يحافظون عليه أشد المحافظة ، ويفخرون بكثرة ما يملكون منهـا ٠ ولا يكادون يفرطون فى بقرة مثلا ٠ الا اذا دفعت مهرا فى زواج ، وهم يمنعون بيعها والتجارة فيها لينتفع الناس بلحومها وألبانها ٠

ومن هذا الصنف من الناس بعض الهنود الذين يقدسـون البقرة ويحرمون ذبحها أو الانتفاع بها على أى وجه ينقذ حيـاة الكثيرين منهم الذين يعانون الجوع المهلك ٠ بل يقول الباحثون : ان بعض قبائل غربى افريقيا كالفولا يصنعون الصابون من الزبد ويحرمون أنفسهم من أكله ، فهم ـ كما يعبر الكاتبون ـ يغسلون ثيابهم بالفيتامينات فى الوقت الذى يعانون فيه من نقص العنـاصر الأساسية فى الغذاء ٠

واذا كانت العناية بالكماليات أكثر من الضروريات تضر بصحة الانسان فان تناول المطعومات والمشروبات المحرمة وايثـارها على

ا أحل الله أكثر ضررا وأبلغ خطرا • ذلك أن الله ما حرمهـا الا لضررها ، رحمة بالانسان واعانة له على أداء واجبه ، وهذه المحرمات كالخمر وما أشبهها ، وهى الى جانب اضرارها بمن يتعاطاها يتعدى ضررها الى غيرهم ، فهى تستنفد أموالا تقتطع من ميزانية الاسرة ، يرى صاحبها أن تلبية هواه والاستجابة لشهواته أقدس من صرخات البطون الجائعة والأجسام العارية ، التى كانت أولى بهذه الأموال المرصدة للمهلكات • والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقـــول فى أمثال هؤلاء المقصرين فى رعاية أسرهم « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » رواه أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص• ورواه مسلم بمعناه •

ويبين أهمية توفير القوت وما يلزم لأهل بيته وايثاره على كل ما عداه فيقول « دينار انفقته فى سبيل الله ، ودينار انفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، اعظمها أجرا الذين أنفقته على أهلك » رواه مسلم عن أبى هريرة •

ب ـ الاسراف وتجاوز الحد المعقول :

والاسراف مضر فى كل شىء ، وهو فى الطعام يضر البـــدن ويسلم الى أمراض وعلل ونتائج سيئة ، الى جانب اهلاكه لمال هناك من هو فى أشد الحاجة اليه ، وقد يهـــون على بعض المسرفين أن يلقوا ببقايا ما يأكلون فى القاذورات ولا يعطوه للفقراء ، والنصوص كثيرة فى النهى عن الاسراف عامة وفى الطعام بنوع خاص • منها قوله سبحانه :

« ولا تبـــذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » وقوله فى وصف عباد الرحمن « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » وقوله « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » •

والافراط فى الأكل هو الذى ورد عنـــه النهى فى كثير من احاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تقدم بعضها • ونظر النبى الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك » رواه احمد والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب من حديث جعدة الجشمى باسناد جيد • وقد يريد النبى بذلك أن ينبه الرجل الى أن الأولى أن يقتصر فى الأكل على الحد المعقول ، وما زاد على ذلك يوجه الى البطن الجـائعة التى لا تجد شيئا •

وكما يقول بعض الأدباء : هناك غنى يتألم بطنه من التخمة ، وفقير يتألم بطنه من الجوع ، فلو أن ما شكا منه الغنى وهو الزيادة وجه الى الفقير ما شكا مما ينقصه وهو الجوع • يقول ابن الجزرى فى التبصرة : الشبع يوجب ترهل البدن وتكاسله وكثرة النـــوم وبلادة الذهن ، والبطنة تذهب الفطنة وتجلب أمراضـــا عسرة •• وذكر أنه قيل لسمرة بن جندب ان ابنـــك لم ينم الليلة ، قال : أبشما ؟ أى مفرطا فى الشبع • قيل : بشما • قال : لو مات لم أصل عليه •

ح ـ اهتمام بعض الدول بالكماليات • توجه بعض الحكومات جزءا كبيرا من ميزانيتها لأنواع الترفيه والتجميل •

وقد تنبهت منظمة الأغذية والزراعـــة الى الخطر الذى يجره اسراف بعض الدول فى الكماليات ، على توفير الغذاء للمـــلايين الجائعة ، فاجتمع ثلاثون من كبار العلمـاء الحائزين لجائزة نوبل وكبار الكتاب ورؤساء الوزارات السابقين ـ منهـــم كلبمنت أتلى ومنديس فرانس ـ وأصدروا نداء من روما ناشدوا فيه زعمـــاء العالم أن يحولوا الأموال الخيالية التى تنفق على التسلح بوسائله الجهنمية ، كأثر من آثار التنافس على المجد العسكرى والسياسى ـ الى المشروعات التى توفر الغذاء لهذه الملايين المبعثرة فى كل القارات

ولا تخلو منها دولة من الدول ، حتى التي تتنافس في هذا الميدان.
ذكر « جون د. بلاك » الأستاذ بجامعه هارفارد ، ان ٢٥ ٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكيه متخمون ، وأن ٤٢ ٪ حسنو التغذية و ٣٣ ٪ ناقصو التغذية .

د ـ هناك نوع من سوء الاستعمال أساسه الجهل بأصول التغذية الصحيحة ، وكان سببا فيما يسمى بالجوع النوعي أو سوء التغذية ..

فقد تكون هناك مواد متوفرة في الكمية رخيصة السعر ، يسهل الحصول عليها ، ولكن من يملكون هذه المواد يعانون أمراضا ترجع في أساسها الى سوء التغذية ، وذلك لأن هؤلاء لا يتناولون من هذه المواد ما يحتوى على العناصر الأساسية اللازمة لبناء خلايا الجسم وتجديد نشاطها وتعويض مافقد منها وتحصينها ضد الأمراض .

وقد تقدم لك أن بعض القبائل في غربي أفريقية تغسل ثيابها بالفيتامينات على شكل صابون مصنوع من الزبد ، ولا يطعمونه كغذاء لازم للجسم ، كما أن هناك بعض الأفكار الخاطئة نحو أنواع من الطعام تحرم تناولها مع لزومها الشديد لبناء الجسم وصحته، أن بعض النساء في أوغندة يحرمن على أنفسهن اللبن والبيض ، مع قيمتهما الغذائية الكبيرة ، وذلك خوفا على انفسهن من العقم أو البرود الجنسي ، والبعض يحرم السمك خشية الاصابة بالجذام ، كما يعتقد البعض أن أكل الموز المنقط يورث الجدري ، الى غير ذلك من الخرافات والأفكار التي لا تستند الى دليل مقبول .

وعلاج هذه الحالة يكون بنشر الوعي الصحي ليتعلم الناس أصول التغذية الصحيحة ، وهذه هي مهمة الأطباء والمثقفين الصحيين والعاملين في هذا الميدان. وعلى الدعاة الدينيين أن يلموا

بهذه القواعد ليضمنوها دعوتهم ويؤيدوها بنصوص الدين لتكون الاستجابة الى الامتثال أسرع • ولا شك أن الاسلام يدعو الى تخير الأطعمة المشتملة على العناصر الغذائية الأساسية ، ويدخل ذلك دخولا أوليا تحت الأمر العام بالحرص على كل نافع مفيد الذى يدل عليه الحديث الشريف « احرص على ما ينفعك » رواه مسلم عن أبى هريرة •

والاسلام يرى أن التوعية الصحية من الخير الذى يكافىء الله من دل عليه ودعا اليه ، ولم يفت علماء المسلمين أن يتحدثوا عن التغذية الصحيحة بما يدل على فهم واع ورغبة فى تناول كل مظاهر الحياة بالدرس ، ومحاولة ربطها بالاسلام الذى جاء بالتنظيم الكامل للحياة البشرية •

ذكر ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ فى كتابه زاد المعاد أن الغذاء الصحى يجب أن يراعى فيه كثرة نفعه وتأثيره فى القوى ، وخفته على المعدة وعدم ثقله عليها وسرعة هضمه ، وبين أنه لايجوز الاقتصار على نوع واحد من الطعام قد لا يكون فيه من العناصر ما هو ضرورى لبقاء الصحة ، وقد يكون فى نوع آخر ما يكسر به حدة نوع آخر أو يكمله ، وقد استدل على ما يقوله بما أثر عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ سواء فى فعله أم فى قوله ، واليك نص ما قال :

« فأما المطعم والمشرب فلم يكن من عادته ــ صلى الله عليه وسلم ــ حبس النفس على نوع واحد من الأغذية لايتعداه الى ماسواه •• فان ذلك يضر بالطبيعة جدا ، وقد يتعذر عليها احيانا فان لم يتناول غيره ضعف أو هلك ، وان تناول غيره لم تقبله الطبيعة فاستضر به ، فقصرها على نوع واحد دائما ولو أنه أفضل الأغذية خطر مضر ، بل كان يأكل ما جرت عادة أهل بلده بأكله ، من اللحم

والفاكهة والخبز والتمر وغيره .. » واذا كان فى أحد الطعامين كيفية تحتاج الى كسر وتعديل كسرها وعدلها بضدها ان أمكن ، كتعديل حرارة الرطب بالبطيخ ..

« وكان يحب الحلواء والعسل ، وهذه الثلاثة ـ أعنى اللحم والعسل والحلواء ـ من أفضل الاغذية وأنفعها للبدن والكبد والأعضاء ..

« وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمى عنها ، وهذا أيضا من أكبر أسباب حفظ الصحة ، فان الله سبحانه بحكمته جعل فى كل بلدة من الفاكهة ما ينتفع به أهلها فى وقته ليكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم ، ويغنى عن كثير من الأدوية ..

« وكان يصلح ضرر بعض الأغذية ببعض اذا وجد اليه سبيلا ، فيكسر حرارة هذا ببرودة هذا ، ويبوسة هذا برطوبة هذا . كما فعل فى القثاء والرطب ، وكما كان يأكل التمر بالسمن وهو الحيس ، ويشرب نقيع التمر يلطف به كيموسات الأغذية الشديدة ..

وقال : ثبت فى صحيح مسلم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ينبذ له أول الليل ويشربه اذا أصبح يومه ذلك والليلة التى تجىء والغد والليلة الاخرى والغد الى العصر ، فأن بقى منه شىء سقاه الخادم أو أمر به فصب . وهذا النبذ هو ماء يطرح فيه تمر يحليه ، وهو يدخل فى الغذاء والشراب وله نفع عظيم فى زيادة القوة وحفظ الصحة ، ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الأسكار . ا هـ . وأخرج أحمد من رواية اسماعيل بن أبى خالد عن أبيه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم كا نيجمع بين اللبن والتمر ويسميهما الأطيبين .

هذا طرف من حديث علماء الاسلام عن التغذية الصحيحة ، أردت به أن أبين أنهم بحثوا فى كل معرفة تفيد الناس ،وأن سوء التغذية الناشيء عن الجهل بالطرق السليمة لتناول الطعام ، والذى تنبه اليه الباحثون أخيرا عندما اكتشفوا أهمية الفيتامينات ــ تنبه اليه علماء المسلمين وتناولوه بالبحث بقدر ما اتسعت له امكانياتهم وسمحت به ظروفهم ، فجزاهم الله عن الدين والانسانية خيرا •

٤ ــ السكان والانتاج :

السبب الرابع من أسباب الجوع عدم اطراد النسبة بين زيادة السكان وزيادة الانتاج ، وقد ورد ذكر ذلك فى كلام الخبراء وهو متصل بالسبب الاول وهو قلة الانتاج وقد آثرنا أن نفرده بالبيان لأن فيه تعرضا لمشكلة تحديد النسل رعاية للوضع الاقتصادى فى الدولة أو الاسرة أو المنطقة •

يقول رجال الاحصاء ان العالم فى أيام الميلاد المسيحى كان يظن أنه يقدر بحوالى ٢٠٠ ــ ٣٠٠ مليون نسمة ، وهو الآن يقدر بنحو ٣٠٠٠ مليون ، بل يزيد • وهذه الزيادة لا تعلل بارتفاع نسبة المواليد فحسب ، بل بالهبوط فى نسبة الوفيات ، خصوصا بين الأطفال نتيجة لتقدم الوعى الصحى •

ويذكر تقرير مجلس الأمم المتحدة الاقتصادى لآسيا والشرق الأقصى أن نمو السكان السريع قد يكون معطلا للتطور الاقتصادى فى معظم دول آسيا ، ويعلل هذا بأن منفذ الهجرة ، الذى خفف كثيرا من ضغط السكان فى أوربا ابان انتقالها الديموجرافى ، لا يتوفر للدول الآسيوية توفرا ملحوظا •

ولمعالجة هذا السبب يجب أن نلاحظ أن مشكلة زيادة السكان ليست مشكلة اقتصادية خالصة ، فهى تنطوى كذلك على مسائل تمس المثل الثقافية والمبادىء الأخلاقية والفلسفية والاجتماعية والسياسية • وهى مسائل تختلف النظرة اليها عند الشعوب

والحكومات • فالبعض يميل الى الأخذ بمبدأ تحديد النسل . سواء في ذلك من يرون أن يكون تنظيما حكوميا ، أم من يرون أن يترك للشعب دون ضغط أو توجيه • والبعض الاخر لا يميل الى هذه السياسة مطلقا لأن من أخذوا بها على كلا وجهيها لم يصلوا بعد الى نتيجة مرضية ، وهؤلاء يرون أن العمل على زيادة الانتاج أقرب وأيسر وأكثر فعالية ، وفي هذا المجال نادت التقارير بأنه لا بد من تطبيق الدراية الفنية المتوفرة عن وسائل انتاج الطعام تطبيقا كاملا في جميع أرجاء العالم ، ويدخل في هذا البرامج الواسعة النطاق لتدريب الموظفين ذوى المناصب الهامة ، والحملات القوية الطموحة على الجهل والركود ، والتجنيد الضخم لرأس المال على نطاق عالمى لاستثماره في التنمية الزراعية والصناعية في الأقطار المختلفة •

كما يجب أن توجه العناية الى الامكانيات الفنية لانتاج الأطعمة من مصادر لا تستغل اليوم كالأعشاب البحرية والخمائر ووجبات السمك وزرع المحاصيل في الماء دون تربة ، واستعمال الوسائل الاستنباطية لتحويل النبات مباشرة الى بروتينات وزيوت بدلا من تربية مصادر ثانوية للمواد الغذائية كالسمك والحيوان •

والميل الى الأخذ بالسياسة الانتاجية لمواجهة زيادة السكان جاء صريحا في خطاب الرئيس جمال عبد الناصر ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة في يوم ١٤-١١-١٩٥٨ بالمنيا فقال ما نصه : اليوم وقد عادت بلادنا الينا صممنا على أن نعمل ، ولا أقول نعمل فقط ولكن نعوض ما فات ، نعمل عملا متواصلا في كل ميدان ،

اننا نشعر أن عدد السكان يتزايد وكانوا دائما يقولون : لماذا يتزايد عدد السكان . يجب أن نحدد النسل . ويجب أن تحدد هذه الزيادة في السكان ، ولكننا جميعا اليوم لا نقول ما كانوا يقولونه في الماضي ، ولكننا نقول : ان زيادة السكان يقابلها العمل في كل مكان وفي كل ميدان ، لقد كنا نستخدم هنا في هذا

الاقليم فى مصر ٤٪ فقط من أرض هذا الوطن ، واليوم أقول : اننا نصمم على أن نستخدم فى مصر ١٠٠ ٠/٠ من ارض هذا الوطن : الموارد الطبيعية والارض الزراعية والمياه الجوفية والبترول والصناعة ، اننا اليوم نعمل وقد بدأنا العمل ، وعلى مر الايام سيتضاعف العمل .

هذا ولم تتفق كلمة المسلمين بعد فى موضوع تحديد النسل أو تنظيمه لهذا الدافع الاقتصادى ، وقد اختلفت أنظارهم فى النصوص التى اعتمدوا عليها فاختلفوا تبعا لذلك على الحكم النهائى فى المشكلة . ولكن من المتفق عليه أن العامل الاقتصادى لا بد من اعتباره فى تكوين الاسرة ، فلها مطالبها والتزاماتها التى لا يقدر كل انسان عليها . واذا كان الاعفاف مطلبا من المطالب التربوية الاسلامية يتحقق بالزواج ، فان الدين يعمل حساب تبعاته ولا يتركه لكل من يريده غافلا عن التزاماته .

ولعل فى قوله تعالى « **وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله** » وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة — أى تكاليف الزواج — فليتزوج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء — أى قاطع — » رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود — لعل فى هذين النصين ما يرشد الى أن الناحية الاقتصادية لها وزنها فى تكوين الأسر لتمكنها من اداء رسالتها الاجتماعية الكبيرة .

ومن هنا يمكن القول بجواز تنظيم النسل بوسائله المشروعة التى لا خطر فيها ، كتنظيم الاتصال الجنسى ليكون فى فترات تقل أو تنعدم فيها فرص الحمل . ومهما يكن من شىء فلا يجوز أن يغيب عن أذهاننا أن الاعمال بالنيات وأن لكل أمرىء ما نوى كما ورد فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم .

ضعف الصلة بالله

الاسباب التى تقدم الحديث عنها اسباب مادية خالصة يستطيع الناس ان يعالجوها بوسائلهم المادية التى تتسع لها طاقاتهم وامكانياتهم ، ولكن هنا سببا آخر له صلته القوية بالعالم الروحى ، اغفله الباحثون لاجهلا بخطره ، ولكن محاولة منهم أن يبعدوا عن مجال النشاط الحيوى الصلة الروحية التى تربط الأرض بالسماء وتصل الخلق بالخالق .

وكان الله سبحانه قد اوقف قدرة البشر عاجزة عن الوصول الى الحل النهائى لكل مشاكلهم الغذائية ، وادخر لنفسه بعض العوامل — وهى أهمها وأقواها — علهم يرجعون بعد طول العناء الى التسليم للقدرة التى بيدها كل شيء ، ويحاولون أن يخططوا مناهجهم على ضوء الايمان بمن بيده ملكوت السموات والأرض .

واذا كان العالم يريد أن ينجو من هذه الازمات او يخفف من حدتها فعليه أن يؤمن بالحقائق التالية :

* الله سبحانه صاحب كل هذه القوى ، فيجب الايمان به والبعد عن الالحاد الذى جرد النفس من غذائها الروحى وسكنها الطبيعى ، والرجوع الى الفطرة الصحيحة التى فطر الله الناس

عليهـا ، وهي الايمان بالله واحد بيده كـل شيء « **فأقم وجهـك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبـديل لخلـق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » يقـول الله سـبحانه « ألا له الخلـق والأمر تبارك الله رب العالمين » ويقول « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » ويقول «فسبحان الـذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعـون » ويقول « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون• سيقولون لله قل افلا تذكرون » ويقول « وان من شيء الا عنـدنا خزائنه وما ننـزله الا بقـدر معلوم »** ويقول فى الحديث القدسى « يا عبادى كلكم جـائع الا من أطعمته فاستطعمونى اطعمكم » رواه مسلم عن أبى ذر .

* عوامل الطبيعة لا يمكن ان يتجاهل أحد اثرها على الحياة بجميـع مظاهرها وهي بأمر ربها صاحبة الكلمة فى أحداث الكون عامة ، وفى التحكم فى ارزاق الناس خاصة ، فالحر الشـديد والبرد القارس والريح العاتية والعواصف الثلجية والاعاصـير المدمرة والامطار الغزيرة والسيول الجارفة والزلازل والبـراكين وما اليها ، ما زالت آثارها فى ارزاق الناس تنطق بقـوة فى جميع عصور التاريخ أنه لا بد من الايمان بخطرها . يقول الله سبحانه « **الله الذى يرسل الرياح فتثير سحـابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله ، فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون » ويقول « وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » ويقول « وهو الذى أنزل من السـماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء »**.

* ان هذه العوامل عجز العلم وما يزال عاجزا عن السيطرة الكاملة عليها ، والتحكم فيها بما يدفع شرها ويوجهها جميعهـا الى ما يريد . فالله وحده مالك أمرها ، ورب غضبة واحدة من

حر أو برد أو عاصفة أو زلزال .. تقرر مصير شعب بأسره . وتقضي على مخططات رجال الاعمال وملوك المال وخبراء الاقتصاد « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذالك على الله بعزيز »

ومن الغريب أن الانسان المغرور يكاد عند العجز عن التخلص من تسلط هذه القوى أن ينطق لسانه بما يستكن فى فطرته من الإيمان بصاحبها ((**هو الذى يسيركم فى البر والبحر ، حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)) ((ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم))**

يقول الله فى شأن المطر والبرد ((**فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء » « وهو الذين ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد)) ((وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض ، وانا على ذهاب به لقادرون))** .

ويقول فى الماء العذب وعدم طغيان الماء المالح عليه ((**وهو الذى مرج البحرين ، هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج، وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)) ((أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون »** .

ويقول فى الزرع وعوامل انباته وانضاجه ((**أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون))** .

ويقول فى البحر وتسخيره لجـــريان السفن ((**ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام ، أن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ، ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور**)) .

ويبين فى آيات أخرى أثر العوامل الطبيعية عامة فيقــول ((**حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليهـــا أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغـن بالامس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**)) ((**وأخــذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين**)) ((**وفى عـاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شىء أتت عليه الا جعلته كالرميم**)) الى غير ذلك من الآيات التى تبين أن الله مالك هــذه القوى لا يسيطر عليها الا هو .

وما دامت هذه الحقائق ثابتة لا محل لانكارها فعـلى البشر وهم المربوبون لصاحب هذهالقوى أن يطلبوا من مالك الملك كله أن يهيىء لهم أسباب الرزق ويقيهم عوادى الطبيعة . وذلك بالايمان به أولا والاقرار بوجوده والاذعان لسلطانه والخضوع لعظمته. وثانيا باتباع أوامره والسير على هداه الذى بعث به الرسل .

والرسل وهم أعظم الشخصيات المصلحة فى تاريخ البشرية كانوا مؤمنين بهذه الحقيقة ، داعين الى الايمان بها ، والتوجه الى الله بالطاعة والدعاء ، يقول سبحانه على لسان نوح عليه السلام « **فقلت اســـتغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا** » وعلى لسان هود عليه السلام « **ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قــوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين** » . وعلى لسان صالح عليه الســلام

« يا قوم اعبـدوا الله مالـكم من اله غيره ، هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليــه ، ان ربى قريب مجيب » .

وفى القرآن الكريم آيات تطلب من المسلمين التوجه الى الله كقوله سبحانه ((**وقال ربكم ادعونى أستجب لكم**)) ((**واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**)) .

وتقرر آيات اخرى أن الاستجابة رهينة بالطاعة ((**ولـو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**)) . وتبين أن العذاب بأنواعه ، ومنها الجائحات التى تجتاح الزرع وتقضى على منابع الثروة سببه الكفر والمعصية « **ظهر الفساد فى البر والبحـر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون**)) ((**أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهـار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** » .

ويضرب لنا الامثال بالاقوام السابقين الذين عصوا ربهـم فعاقبهم بالصـيحة والريح والخسف والاغراق ، كعـاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « لم ينقص قوم المكيال والميزان الا اخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا » رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمر .

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا احتبس المطر صلى صلاة الاستسقاء وتوجه الى ربه هو ومن معه من المسلمين فى دائه وتضرع حتى يسقيهم . وقد دعا ربه مرة فقال « اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا قريعا طبقا غدقا عاجلا غير رائث » رواه ابن ماجه عن ابن عباس . وكان يقول عند المطر : اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق ، اللهم على الضراب ومنابت الشجر ، اللهم حوالينا ولا علينا » رواه الشافعى فى مسنده وهو مرسل .

وقد اخبره رجل بالقحط فدعا ربه فنزل المطر ، ثم عاد واخبره بكثرته فدعا ربه ليكون على الظراب والاكام . وذلك فى حديث رواه البخارى ومسلم عن انس ونصه :

عن شريك بن أبى نمر عن أنس أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ثم قال : يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغثنا ، قال فرفع رسول الله يديه ثم قال « اللهم اغثنا ، اللهم أغثنا » قال انس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس . فلما توسطت السماء انتشرت ثم امطرت . قال : فلا والله ما رأينا الشمس سبتا « أى من السبت الى السبت » قال : ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله : هلكت الاموال وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا ، قال فرفع رسول الله يديه ثم قال « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام

الظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر » قال فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس . قال شريك فسألت انسا : أهو الرجل الاول . قال لا أدرى .

وكانت صلاة الاستسقاء سنة متبعة في جميع العصور ، وكان عمر يستسقى بالعباس عم النبى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ويقول : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون . رواه البخارى عن انس .

وبعـــــد

فهذه صورة من الصور الكثيرة فى الاسلام ، التى تعـالج مشاكل الناس على أساس متين ، ولا تعيش بعيدة عن واقعهم ، بل هى لهم ومعهم فى كل صغيرة وكبيرة ، توجه حياتهـم الى الخير ، فى توفيق عجيب ومزج رائع بين الروح والبـدن وبين الدين والدنيا .

ولعلى بذلك اكون قد أزلت بعض الغموض عن جـانب من الجـوانب التى ترمى بها الأديان عامة ؛ والاسلام بنوع خاص . ومن الخير للطاعنين فى الاسلام أن يمدوا أيديهم اليه ليمـدهم بالتعليمات القيمة والسياسة الرشيدة ، فهـو تنزيـل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه « **صبغة الله ومن احسن من الله صبغة** »

واعود فأقول مرة أخرى ، اذا كنا نبحث مشكلة الجـوع فعلينا أن نبحثها من جميع زواياها لا من زاوية واحـدة ، وأن يكون العلاج بجهود جماعية وتعاون تام بين جميـع الدول

والهيئات . رائدنا الاخلاص ، وطابعنا الغـــــيرة على الكرامة الانسانية أن تهان ، وشعارنا الوحدة الجنسية والاخوة الشاملة التى تتعالى على فوارق اللون والدم وتتخطى حواجز البيئـــة والثقافة . وهدفنا من ذلك هو الصالح العام .

« وتعاونوا علىَ البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

سلسلة دراسات فى الإسلام
تصدر فى
منتصف كل شهر عربى

العدد القادم
يصدر فى منتصف رجب

الإسلام
فى قيادة المجتمع العربى

للدكتور
محمد عبد المنعم خفاجى



الثمن ٥ قروش
مطابع شركة الاعلانات الشرقية